المجلد الاول - الجزء ٧ السنة الاولى

الفجر

1338

محل ادارة المجلة	اجرة الاعلانات	قيمة اشتراكها
شارع باب البنات ٤٦ بتونس	يتفق فيها مع الادارة	عن سنة ستون فرنكا

تونس - اول فيفري ١٩٢١ § الموافق ٢٣ جمادى الاولى ١٣٣٩

مجلة علمية عمرانية اخلاقية تصدر مرة في كل شهر

يحررها نخبة من علية الكتاب

« فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه »

« اولئك الذين هداهم الله واولئك هم الو الالباب »

« قرآن شريف »

مطبعة النهضة - نهج الجزيرة عدد ١١ - تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحافة

منزلتها منا وواجبنا نحوها

ليس الوقت بفسيح لاجراء تجارب جديدة نختبر بها طرق الاصلاح فقد اتضح السبيل وامكننا السير فيه مع الامن والوثوق ببلوغ الغاية وانما هي عزمة صادقة وارادة ثابتة يظهرها التونسي الذي لايفقد تلك الخصال الشريفة لو لا تقاعسه عن اظهارها اتاثير رهبة خيالية يمكن ان تزول عنه بمجرد الاقدام على العمل والشروع فيه

ولنتذكر اننا في بلاد اطلقت فيها حرية القول لسائر الاجناس وفيهم من لايتحاشى عن ذكر معائبنا وتتبع سقطاتنا وثلبنا بالسنة خرجت عن قيود الاحتراز ومنهم من يسمنا بالجهل ويصفنا بالقصور وينعتنا بالجبن وضعف العزيمة وفقد الاحساس والشعور ويتجرأ بالحكم علينا باستحقاق البقاء تحت الحجر لعدم اهليتنا واستعدادنا لاكتساب ملكة الحرية والرشد

واذا نطق منا ناطق بكلمة حق او اعرب عن فكر سديد او تصريح بطلب عادل قالوا هذه كلمة ملقنة يحاكي بها قائلها اقوال النابغين بدون ان تكون له دراية بمؤداها فان اعوزتهم اقامة البرهان على هذه الشبهة تنازلوا بالاعتراف لقائلها بفضيلة الادراك والفهم ولكنهم يلمزونه بادعاء انها فكرة خصوصية قاصرة على قائلها لا يشاركه فيها الوطنيون ولم تخطر ببال غيره من ابناء جنسه

فما ساغ لهم ذلك القول وهذا الادعاء الا لكوننا لم نقم الدليل المحسوس على ارتباطنا وتآلفنا واتفاقنا في المبادي والغايات او بالاولى ليس لنا لسان يترجم عن تلك المشاركة والاتحاد لان الوسيلة الحقيقية التي يتحقق بها الافصاح عن الرغائب انما هي معاضدة الجرائد الوطنية ومديد السخاء والمساعدة اليها ماديا وادبيا

والامة لا تستفيد من كثرة الجرائد وتعدد اسمائها وامتلاء فراغ اعمدتها بالمقالات والمباحث مادام العموم لايتناولونها الا اتفاقا بدون قصد صحيح ولايطالعونها الا تفكهة وتسلية للنفس فانهم بهذه الصفة يحملون وزر جناية مزدوجة لارتكابهم اثم التفريط في واجب اكيد وحملهم جناية التقصير في مساعدة من اضاع وقته واتعب فكره لخدمة مصلحة الجمهور

ومن القناعة المذمومة الاكتفاء بما حصل عندنا من المبادي والافكار القويمة وما تكنه قلوبنا من حب النهوض والميل الى تحصيل الآمال بل ينبغي ان يشعر كل واحد منا بانه شريف في نفسه مستحق لاسمى الكمالات الانسانية قادر على الوصول اليها بالعمل المشترك والخدمة

المتبادلة بين افراد شعبه ويسعى بالفعل للاتيان بكل عمل هو من متممات كماله ومقتضيات شرفه واعتباره

ومن النقص والعار ان يبلغ بنا البخل والكسل الى درجة لا نقدر فيها على احياء جريدة او جرائد ومجلة او مجلات حياة رقي وانتشار بينما نرى جميع الاجناس وهم مهما كانت عدتهم وعديدهم ليسوا الا جالية نزحت لبلادنا فاحدثت لمجموعها مركزاً ممتازاً بين اظهرنا يمثل طائفتهم في اجمل مثال

ربما قيل لنا ما بالك تدعى انعدام الموجود وتحاول انكار المحسوس وتذهل في قياسك عن وجود الفارق وهذه جرائدنا ومجلاتنا وهؤلاء كتابنا المفكرون وخطباؤنا المصلحون قائمون بواجباتهم متوفرة فيهم شروط الكفاءة والاقتدار وقد طرقوا باب الاصلاح فلباهم العموم والتفت حولهم الامة واتجهت نحوهم الانظار وما لتلك الطوائف النازحة لبلادنا فضل يمتازون به علينا لولا ما منحوه من الاحترام والرعاية من طرفنا وما اوجبته الاتفاقات الدولية نحوهم من الامتيازات والحقوق التي قضى علينا بالحرمان منها

ولعلنا بعد الاعتراف بمجمل ذلك نجد في نباهة ابناء وطننا وسلامة فطرتهم ما يغنينا عن شرح مقصدنا الذي لا يرمي الى استنقاص صحافتنا واتهام كتابها بالقصور والعجز عن بلوغ الغاية الحميدة من رقى الامة كما اننا لا ندعى غفلة العموم عن واجبهم ولكننا نستنهض همة الجميع لعلاج علة خفية في جسم الامة اثرت على حياة الجرائد والمجلات ومرادنا الحياة المقرونة بالرقي والانتشار

ونريد ان نجعل حداً فاصلا بين ماضينا ومستقبلنا ونسعى باتحاد ووفاق لتحقيق امانينا على مبدا النهضة العلمية والتربية القومية العامة فلا يروعنا الاسف على ما فات ولا نسلط همه على قلوبنا ونشتغل بالتفكر في الماضي عن الاهتمام بالمستقبل ولا يقبضنا الخجل من حالتنا الراهنة فنجنح للاختفاء والتستر وما علينا الان نبرز وجوهنا ولو كانت تعلوها حمرة الخجل

لهذه النقطة السوداء والنقيصة الشائنة نستلفت انظار ابناء الوطن بما فيهم من الغيرة والصدق في خدمة المصلحة والحرص على اكتساب الكمالات لينسخوا بحكم تدبيرهم ما الصق بمجموعنا من معرة الزهد في معاضدة الجرائد والمجلات معاضدة متينة تؤيد مشروعاتها الادبية العلمية ومشاربها الخالصة لنستكمل درجات سلم معراجنا الى حياة العز والشرف اللائق بالامة التونسية

نحن اذا نالنا من اجنبي سوء معاملة اوءانسنا منه استخفافا بنا وعدم اعتبار هالنا ذلك واكبرناه ووقع علينا موقع المصيبة والخطب الجسيم وطفقنا نشكو ونتظلم متألمين من تعاستنا وسقوطنا في منخفض سافل نبت عنه العيون وترفعت عنه اصحاب النفوس الابية والهمم العالية

فما لنا لا نشعر بذلك الهوان وهول تلك التعاسة اذا عاملنا انفسنا بانفسنا باشد مما يعاملنا به الاجنبيون

اليس من الاساءة قبض يد يجب بسطها واخفاء فكر يتحتم إبداؤه لتعضيد جانب الصحافة وتعميم المعارف وارشاد العموم

ولما ذا لا نتأثر مما يصدر من بعض افرادنا ضد مجموعنا من قول

او عمل يحدث تاثيراً محسوساً ولامظهر يمكن به توضيح التأثر والاستياء او ابداء الاستحسان والرضا غير صفحات الجرائد التي بلسانها يتخابر العموم وبلغتها تتفاهم الامم والشعوب

اقام المصريون هيكل نهضتهم العلمية وتربيتهم القومية على اساس الصحافة الوطنية والمجلات والنشريات المختلفة في الفنون والصناعات فكانوا في اول نشأتهم الصحفية مقلدين لاروبا المتمدنة مقتصرين في الاكثر على نشر اخبارها وما حدث فيها من الاختراعات والاكتشافات متتبعين سير الرقي العلمي وءاثاره واستعانوا بمن نزح اليهم واستوطن بلادهم من جيرانهم السوريين على احداث حركة فكرية عامة كانوا في اثنائها يحررون التحارير ويدبجون المقالات الرائقة ويتفننون في ذلك بكيفية تشف عن حذق في المحاكاة والمسائرة شان المقلد الذكي في حداثته ايام الطلب والتحصيل ثم مالبثوا حتى رسخت فيهم الصناعة فانتقلوا من التقليد والاتباع الى مرتبة الاستنباط والاختراع

ايد المصريون مؤيدهم لشعورهم بتأكد الحاجة الى جريدة وطنية يديرها الوطنيون ويكتب فيها المفكرون ويوحى اليها المصلحون الصالحون لترى الامة بعينها ما كانت تتصوره بجنانها وتردد بلسانها ما كان يدور بوجدانها فانطلقوا من معتقل الخمول الى فسحة العمل يفتشون على افتك سلاح يحاربون به التقهقر ويبددون به جيوش الانحطاط فتمكنوا من افتتاح معاقل العز والسعادة واحتلال منازل السودد والفخار رافعين لواء العلم والادب واصبح المصريون امة محترمة الجانب رهيبة المقام سامية العز ذات مكانة واعتبار وما ذلك الا لكونها ادركت بواسطة

صحافتها وكتابها كنه مصالحها العامة فغارت عليها غيرة صادقة واندفعت الى حمايتها ذائدة عن شرفها مبرهنة عن مكانتها المكينة بفوزها في معترك الحياة

نشأ (المؤيد) في السنة الثامنة من القرن الرابع عشر وليس لصاحبه من المعلومات السياسية والدراية بالشؤون العامة ما يؤهله لرسم برنامج الاصلاحات وطرق علاج امراض الامم ووسائل انهاضها بل ليس لديه من القوة المادية ما يضمن له حياة مشروعه الخطير لنشر دعوته الاصلاحية ولكنه وطني صادق بضاعته الاخلاص نشط للعمل فوجد من سراة الامة وفحول كتابها عضداً متيناً ومن اصحاب الراي والافكار اعانة حقيقية فامده هذا برأيه الصائب واسعفه الاخر بتحريراته المفيدة واعانه غيره بما في وسعه واقبل الاخرون على تناول صحيفته الطاهرة من الاغراض الشخصية المشحونة بالنصائح السديدة والتعاليم الرشيدة فاعتز جانبه وعظم شانه وتربى (المؤيد) في حجر الامة المصرية تحت رعاية مشاهير علمائها واعيان المتخرجين من الكليات والمدارس فتمكن في زمن ليس بالطويل من الاحراز على مركزه المعروف وانتشر في عموم البلاد الاسلامية مسموع الكلمة حائزاً على اعجاب قرائه الكثيرين ناشراً لمفاخر المصريين الذين خدمهم بنصحه فكافؤوه بالمعاضدة والاقبال

وهكذا ظهرت في ابان النهضة المصرية عدة جرائد ومجلات اختلفت حظوظها بحسب مقاصدها ونواياها ونالت من الشعب نصيبها من الاعانة والعناية ناهيك بمجلة (المنار) وما لها من الرسوخ والاعتبار وما احدثته من الحركة الراقية والتأثير العجيب وغيرها من المجلات والجرائد المختلفة المباحث المتنوعة المشارب

فلولا الامة المصرية لما تأيد (المؤيد) ولاسطع (للمنار) نور ولا خفق للوطنية (لواء) ولااضاء لها (مصباح) وهنا محل العبرة للتونسي وهو الحاذق البصير ليتأمل بامعان كيف امكن لصاحب المؤيد الذي برز لميدان الصحافة وهو اعزل من كل سلاح فأنشأ جريدته البعيدة عن مظاهر الرياء البريئة من نزغات الاهواء المترفعة عن المطامع السافلة فمنحه القوم ثقتهم واولوه اعانتهم فاصبح اعزل الامس يحمل يومها سيفاً صقيلا يكن من الاعناق مدافعاً عن شرف الامة والوطن

وكلنا يعلم شدة احتياجنا الى صحف سياسية ومجلات علمية ونشريات وتحارير اخلاقية اجتماعية ولسنا نجهل ماينجم عن انتشارها ورواجها وزيادة الاقبال عليها من الفوائد الجمة والنتائج المهمة وما يترتب على رسوخها وتعميم ءاثارها من اليقظة والانتباه والاستعداد لقبول الاصلاحات المتنوعة بسهولة ونشاط غير ان هناك اسبابا لاتزال مجهولة ونريد ان نبحث عنها وهي مانجده في عزائمنا من الفتور البين والانكماش الظاهر عن معاضدة المشروعات من هذا القبيل وعدم اعطائها حقها من الاحتفاء والعناية. ومن الغريب وجود ذلك في شعب لايفقد الاوصاف الاساسية للشعوب الحية من اتحاد وتعاضد وسعي لنيل الحقوق والذود عن المصالح

اقول ذلك وانا مصاب بمثل ما اصيب به القوم شاعر بتسلط هذا المرض على قواي الادبية واقتداري المادي غير انه لم يبلغ مني مبلغ الاعضال والتعاصي عن العلاج ولذلك نهضت لمحاربة جراثيمه مستعينا بحذق ابناء الوطن والمتصدرين منهم الى الاصلاح مع الوثوق بسرعة تمكننا جميعاً من اكتشاف مركز الداء وتركيب الدواء الناجع

لو اردنا حمل المسؤولية على رجال الصحافة لامكنهم الادلاء بحجة البراءة بعد قيامهم بمامورياتهم الشاقة تحت مضايقة المراقبة الصحافية وقساوة قانون المطبوعات واخطار الاحكام الادارية وقد وجدنا منهم من ثبت مصابرا ينتظر اعانة مادية معتبرة تعينه على التوسع في مشروعه والارتقاء به الى المركز المناسب ولكننا لم نمنحهم الا شكرا بليغاً واعترافاً بالفضل وهي منحة ليست بكافية

ولعل الكتاب يتخلصون بمثل ما يتخلص به الصحفي بعد ان يثبت انه استعمل كل ما في امكانه بصدق واخلاص ولا تجد الامة ما تعتذر به بعد شعورها بنقص تقدر على اتمامه



نبذ تاريخيـــة

٥

الانقلابات السياسية التي طرأت على الدولة العلية

دور التقهقر

وفي سنة ١٢٠٠ عادت الحرب بين الدولة والروسيا بسبب نقضها لمعاهدة قاينارفي واستيلائها على الكرم ثم انضمت النمسا الى الروسيا فانهزمت العساكر العثمانية امام الروس ولكنها انتصرت على النمسا وتم الصلح بدون خسارة كبرى على الدولة غير ان الحروب المتوالية زادتها ضعفا ولم تسمح لعقلاء رجالها بانجاز ما عزموا عليه من الاصلاح

ومات عبد الحميد الاول على اثر تلك القلاقل وخلفه السلطان سليم الثالث (سنة ١٢٠٣) وهذه السنة يوافقها من التاريخ الافرنجي ١٧٨٩ وهي السنة التي ابتدات فيها الثورة الفرنسوية الكبرى وسقوط الحكم الاستبدادي وقيام الجمهورية الاولى والحروب العظيمة التي ثارت بين فرنسا وغالب الممالك الاروباوية ودامت نحو خمسة وعشرين عاما كما سنوضحه بخلاصة تاريخ فرنسا

وعلى عهد سليم الثالث كانت وقائع ذات بال اولها انقراض دولة بولونيا (لاهستان) وتوزيع اشلائها بين الروسيا والنمسا والبروسيا (١٢٠٩) وقد اسلفنا ان بولونيا كانت دولة عزيزة الجانب حتى كادت ان تكتسح مملكة الروس لولا الخلافات المذهبية وهي التي انقذت سلطنة النمسا من مخالب الاتراك لما وضعوا الحصار الثاني على مدينة فينا (سنة ١٠٦٤) ولكن البولاق اهالي بولونيا اصيبوا بداء عضال وهو الانقسام السياسي والمذهبي فكانت المملكة منقسمة الى مجالس متعددة بالولايات ومجلس مركزي بعاصمة الملك ولا تنفذ قرارات هذا المجلس إلا بموافقة المجالس الافاقية على ان الموافقة لم تكن بالاغلبية كما هو الشان بل بالاجماع

وذلك مستحيل عادة بحيث تعطل دولاب القوانين والنظامات وزاد الطين بلة تزاحم الزعماء على عرش المملكة وكانت الروسيا تدس الدسائس لايقاد نيران الفتن فلما بلغت السلطة المركزية في الضعف منتهاه اجهزت عليها كل من الروسيا والنمسا والبروسيا واغتصبت جانبا من مملكة بولونيا (سنة ١١٨٥) ثم كانت قسمة ثانية (سنة ١٢٠٧) وبعد عامين قضت الدول المذكورة على دولة بولونيا بالاضمحلال واقتسمت بقية اشلائها ولم ينتطح في زوالها عنزان لاشتغال فرنسا بارتباكاتها وانكلترا بمستعمراتها وعارضت الدولة العثمانية معارضة سياسية بلا جدوى لان بولونيا كانت سدا حاجزا بينها وبين الروسيا فكانت الدولة تشعر بالخطر الذي اصبح مهددا لها من جهة الروسيا بعد سقوط ذلك السد ولكن حالة الدولة اذ ذاك ماكانت تسمح لها بالمعارضة الفعلية وهكذا ذهبت مملكة بولونيا ضحية الانقسامات الداخلية والدسائس الخارجية وفي ذلك عبرة لاولي الالباب

ثانيا ـ لما ثار الفرنسيون ثورتهم الشهيرة وقلبوا هيأة حكومتهم الى جمهورية بعد ان قتلوا ملكهم لويز السادس عشر وزوجته ابنة امبراطور النمسا اتحد غالب الدول على فرنسا وقامت حروب مهولة كان النصر في اكثر وقائعها حليف الفرنساويين وكانت انكلترا اكثر الدول عداوة لفرنسا وعجز الفرنسويون عن وضع قدمهم بانكلترا لموقعها البحري فتراءى لحكومة فرنسا ان تنتقم من انكلترا بتعطيل تجارتها وتهديد مستعمراتها بالهند وهما مورد حياتها وان انجع وسيلة لهذا الانتقام هو الاستيلاء على مصر لانها اقرب طريق بين الهند والبلاد الافرنجية وكانت مصر اذ ذاك مملكة عثمانية ممتازة كطرابلس وتونس والجزائر وكان امراؤها يعرفون بالمماليك ولم يكن للدولة سوى حق الموافقة على ولايتهم ومراقبة اعمالهم بواسطة نائب عن السلطان يقيم بالقاهرة فعزمت فرنسا على اسقاط حكم المماليك ووضع اليد على وادي النيل للغرض الذي اشرنا اليه . فجهزت نحو اربعين الف

مقاتل جعلت قيادتهم للجنرال بونابارت الشهير الذي صار فيما بعد امبراطوراً وقهر غالب الممالك الاروبية - فسار هذا الجيش في اسطول ضخم واستولى على الاسكندرية ثم على القاهرة بعد مقاتلة عنيفة قرب الاهرام انهزم فيها مراد بك وابراهيم بك اللذان كانا شريكين في السلطة على البلاد المصرية (سنة ١٢١٣) وبعد شهر من دخول الفرنسيس للقاهرة هجم الاسطول الانكليزي على الاسطول الفرنساوي بابي قير احدى الموانى المصرية واحرقه فانقطعت المواصلات بين فرنسا وعساكرها بمصر - واعلنت الدولة الحرب على فرنسا باغراء من انكلترا فخرج بونابارت في ثلاثة عشر الف مقاتل وسار نحو البلاد الشامية فاستولى على العريش ويافا ثم وضع الحصار على عكا وكان مستبدا بها احمد الجزار باشا فدافع عن عكا دفاعا جميلا بما كان لديه من العساكر العثمانية وامده الانكليز بحرا بالمال والاسلحة والذخائر وطال الحصار بلا جدوى وفتك الطاعون بعساكر بونابارت فاضطر الى التقهقر والرجوع الى مصر ولدى وصوله وجد جيشا من الانكشارية اتى به الانكليز بمرسى ابي قير فهزمهم واكرههم على الرجوع من حيث اتوا - وفي تلك الاثناء جاءته اخبار مسيئة في احوال الجمهورية بفرنسا فخرج متسللا وسافر خفية الى فرنسا بعد ان عهد بقيادة الجيش الى الجنرال كليبير (١٢١٤)

وفي سنة ١٢١٤ قدم الصدر الاعظم يوسف باشا في ستين الف مقاتل يعضده الاسطول الانكليزي من جهة البحر فراى الجنرال كليبير ان لا طاقة له على مصادرة هذه القوة الكبرى وركن الى الصلح والتزم ليوسف باشا بالاجلاء عن البلاد المصرية على شرط تمكينه من الرجوع بعساكره الى فرنسا فقبل الصدر الاعظم هذا الشرط غير ان دولة الانكليز ابت إلا ان تاخذ تلك العساكر اسرى فاضطر الجنرال كليبير الى استئناف القتال وهزم الانكشارية هزيمة كبرى لتمسكهم بالاساليب الحربية العتيقة وبذلك صفا الجو للجنرال كليبير واعاد السلطة الفرنساوية بمصر وتلقب بالسلطان فوثب عليه سليمان الحلبي احد طلبة العلم وطعنه بخنجر فقتله

وخلفه في رئاسة العساكر الجنرال (منو) ولم يكن كفؤا لهذه الرياسة فتظاهر بالاسلام وتزوج بكريمة احد اشراف مصر لاستجلاب القلوب ولكن لم يفده ذلك شيئا واتحد الاتراك والانكليز على قتله فانهزمت العساكر الفرنساوية وانجلت عن مصر في سفن انجليزية ارجعتها الى فرنسا (سنة ١٢١٦) وعادت السلطنة العثمانية على مصر وحاول امراء المماليك ان يسترجعوا ما كان لهم من الامارة وتنازعوا فيما بينهم فابتزها منهم محمد علي احد ضباط الجيش العثماني - واصله من قواله بمقدونية فوافقت الدولة على ولايته بطلب من الاهالي (١٢٢١) ودعى المماليك الى وليمة واستاصلهم جميعا (١٢٢٦) فتمكن قومه واسس العائلة الحاكمة لمصر لهذا العهد

ثالثا - في اواخر سنة ١٢٢١ حصلت وحشة بين الروسيا وفرنسا واتحدت انكلترا مع الروسيا فارسل الامبراطور بونابارت الجنرال سبستياني سفيرا الى الاستانة للسعي في استمالة السلطان سليم الى محالفة ضد الروسيا فرأت انكلترا في هذه السياسة خطرا على مصالحها فوجهت اسطولا اجتاز بوغاز الدردنيل بغتة والقى مراسيه قرب البوسفور وكتب سفير انكلترا الى السلطان متوعدا متهددا واقترح الاتحاد مع انكلترا والروسيا وطرد السفير الفرانساوي واعلان الحرب على فرنسا وتسليم الاسطول العثماني وقلاع الدردنيل الى انكلترا والافلاق والبغدان الى الروسيا فماطله السلطان في الجواب واخذ في الاستعداد واصلاح الحصون التي كانت مهملة بالبسفور والدردنيل واعانه على ذلك سفير فرنسا وضباط فرنسيون واسبانيول كانوا اذ ذاك بالاستانة ولما تم الاستعداد رفض السلطان مطلب السفير الانكليزي واشهر الحرب على انكلترا وشرعت الحصون في رمي الاسطول فاصلته نارا حامية وعطبت البعض من بوارجه فانسحب وركن الى الفرار - وعرج في طريقه على السواحل المصرية وانزل بالاسكندرية خمسة آلاف مقاتل وحاول الاستيلاء على ثغر رشيد فهاجمه محمد علي بعساكره فانهزم الانكليز و انقلبوا بخفي حنين (١٢٢٢)

وكان السلطان سليم الثالث عاقلا حازما محبا للاصلاح واستعان ببعض المهاجرين من ضباط الافرنج على تحرير ترانيب لتنظيم الجيش والادارة فكان كالباحث على حتفه بظلفه لان عتاة الانكشارية خلعوه وبايعوا مصطفى الرابع (١٢٢٢) وكان شابا في مقتبل العمر فاكرهه الانكشارية على ابطال النظامات التي شرع فيها سليم الثالث وفي اثناء ذلك قدم مصطفى بيرقدار الى رستجق في جيش كبير و دخل الاستانة على حين غفلة لخلع السلطان مصطفى واعادة سليم فبادر الانكشارية الى هذا السلطان المصلح وهاجموه وقتلوه واخرجوا جثته الى بيرق دار فانزعج وبكى وعرج بعساكره الى قصر السلطان مصطفى فخلعه وبايع اخاه محمود الثاني ابن عبد الحميد الاول وعلى عهده ابتدأ عصر التنظيمات وحصلت انقلابات كبرى بالسلطنة



قانون [عهد الامان]

نشرنا بالعدد السالف ضمن فصل (الدساتير الحديثة) ملخص اصول ذلك القانون الاساسي الذي نالته الامة التونسية على عهد المقدس المبرور محمد باشا باي وتلي بمحضر الهيئات السياسية والملكية والدينية وغيرها في ضحى يوم الاربعاء الموفى عشرين من المحرم عام ١٢٧٤ هـ وننشر اليوم نصه الذي حبره الوزير المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف :

« الحمد لله الذي اوضح للحق سبيلا ، وجعل العدل لحفظ نظام العالم كفيلا ، نزل الاحكام على قدر المصالح تنزيلا ، ووعد العادل وتوعد الجائر ومن احسن من الله قيلا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي مدحه في كتابه بالرءوف الرحيم وفضله تفضيلا ، وبعثه بالحنيفية السمحاء فبينها تبيينا وفصلها تفصيلا ، ورتبها كما امره ربه اباحة وندبا وتحريما وتحليلا . فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ، وعلى آله واصحابه الذين اقاموا على معالم الهدى علما لمن اقتدى ودليلا ، وفهموا الشريعة نصا وتاويلا ، وابقوا سيرتهم الفاضلة واحكامهم العادلة امانا جليلا ، ونستوهب اللهم منك توفيقا يوصل الى الاسعاد برضاك توصيلا . وعونا على امور الامارة التي من حملها فقد حمل عبئا ثقيلا ، فقد توكلنا عليك والتجانا اليك وكفى بالله وكيلا ، اما بعد فان هذا الامر الذي قلدنا الله منه ما قلده ، واسنده الينا من امور خلقه بهذا القطر فيما اسنده ، الزمنا فيه حقوقا وافية ، وفروضا لازمة راتبة ، لا تستطاع إلاّ باعانته التي عليها الاعتماد ، ولولاها فمن يقوم بحق الله وحق العباد ، فمحضنا النصيحة لله في عباده ، وارضه وبلاده . والامل ان لا نبقى فيهم ظلما ولا هضما ، ولا نخرم لهم في اقامة حقوقهم نظما ، وانىّ ينصرف عن هذا القصد بعمله ونيته ، من يعلم ان الله لا يظلم مثقال ذرة ولا يحب الظالم في بريته . فقد قال لنبيه المعصوم الاواب ، ياداود انا جعلناك

خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ، والله يرى اني آثرت في قبول هذا الامر على خطورته مصلحة الوطن على ذاتي ، وعمرت لخدمته الفكرية والبدنية غالب اوقاتي ، وقدمت من التخفيفات في الجباية ما علم خبره ، وظهر بعون الله اثره ، فانتشرت الآمال ، وتشوفت النفوس الى ثمرات الاعمال . وانقبضت عن التعدي ايدي العمال ، واستقصاء المصالح يقتضي تقديم اجمال ، ومن رامها جملة فقد عرضها بسبب التعذر للاهمال ، ورأينا غالب اهل القطر لم تحصل لهم الامنية ، باجراء عقدنا عليه النية ، وجرت عادة الله ان العمران لايقع من نوع الانسان ، إلا اذا علم ان براءته هي الامن له والامان ، وتحقق ان سياج العدل يدفع عنه خوف العدوان ، وان لاوصول لهتك ستر من حرمانه إلا بقوة الدليل ووضوح البرهان ، ولا يكفي لتحقيقه الواحد والاثنان ، فاذا راى الجاني تعدد الانظار غلط ان كان منصفاً حدسه ، وقال ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه ، وقد رأينا سلطنة الاسلام والدول العظام ، الذين على سياستهم الدنيوية اعمال الاعلام ، في النقض والابرام ، يؤكدون الامان من انفسهم للرعية ، ويرونه من الحقوق المرعية ، وهو امر يستحسنه العقل والطبع ، واذا اعتزت مصلحته فهو مما يشهد باعتباره الشرع ، لان الشريعة جاءت باخراج المكلف من داعية الهوى ، ومن التزم العدل واقسم عليه فهو اقرب للتقوى ، وبالامن تطمئن القلوب وتقوى ، وقبل هذا كاتبنا علماء الملة الاركان وبعض الاعيان ، بعزمنا على ترتيب مجالس ذات اركان للنظر في احوال الجنايات من نوع الانسان ، والمتاجر التي بها ثروة البلدان ، وشرعنا في فصوله السياسية ، بما لا يصادم ان شاء الله القواعد الشرعية ، هذا واحكام الشريعة اعزها الله جارية مطاعة ، والله يديم العمل بها الى قيام الساعة . وهذا القانون يستدعي زمنا لتحرير ترتيبه ، وتدوينه وتهذيبه ، وارجو الله

الذي ينظر الى قلوبنا ان تستقيم به احوال الرئاسة ، ولا يخالفه ما ورد عن السلف الصالح من اعتبار السياسة ، وانا العبد الفقير نعجل لمرضاة ربي بما تطمئن اليه النفوس ، وتكون منزلته في النفس منزلة المشاهد المحسوس ، وتأسيسه على قواعد -١١- :

الاولى تاكيد الامان لسائر رعيتنا وسكان ايالتنا على اختلاف الاديان والالسنة والالوان في ابدانهم المكرمة واموالهم المحرمة واعراضهم المحترمة الا بحق يوجبه نظر المجلس بالمشورة ويرفعه الينا ولنا النظر في الامضاء او التخفيف ما امكن او الاذن باعادة النظر

الثانية تساوي الناس في اصل قانون الاداء المرتب او ما يترتب وان اختلف باختلاف الكمية بحيث لا يسقط القانون عن العظيم لعظمته ولا يحط على الحقير لحقارته وياتي بيانه موضحا

الثالثة التسوية بين المسلم وغيره من سكان الايالة في استحقاق الانصاف لان استحقاقه لذلك بوصف الانسانية لا بغيره من الاوصاف والعدل في الارض هو الميزان المستوى يوخذ به للحق من المبطل وللضعيف من القوي

الرابعة ان الذمي من رعيتنا لا يجبر على تبديل دينه ولا يمنع من اجراء ما يلزم ديانته ولا تمتهن مجامعهم ويكون لها الامان من الاذاية والامتهان لان ذمتهم تقتضي ان لهم ما لنا وعليهم ما علينا

الخامسة لما كان العسكر من اسباب حفظ النظام ومصلحته تعم المجموع ولا بد للانسان من زمن لتدبير عيشه والقيام على اهله فلا ناخذ العسكر إلا بترتيب وقرعة ولا يبقى العسكري في الخدمة اكثر من مدة معلومة كما نحرره في قانون العسكر

السادسة ان مجلس النظر في الجنايات اذا كان الحكم فيه بعقوبة على احد من اهل الذمة يلزم ان يحضره من نعينه من كبرائهم تانيسا لقلوبهم ودفعا لما يتوقعونه من الحيف والشريعة توصي بهم خيرا

السابعة ان نجعل مجلسا للتجارة برءيس وكاتب واعظاء من المسلمين وغيرهم من رعايا احبابنا الدول للنظر في نوازل التجارات بعد الاتفاق مع احبابنا الدول العظام في كيفية دخول رعاياهم تحت حكم المجلس كما ياتي ايضاح تفصيله قطعا لتشعب الخصام

الثامنة ان سائر رعيتنا من المسلمين وغيرهم لهم المساواة في الامور العرفية والقوانين الحكمية لا فضل لاحدهم على الاخر في ذلك

التاسعة تسريح المتجر من اختصاص احد به بل يكون مباحا لكل احد ولا تتاجر الدولة بتجارة ولا تمنع غيرها منها وتكون العناية باعانة عموم المتجر ومنع اسباب تعطيله

العاشرة ان الوافدين على ايالتنا لهم ان يحترفوا بسائر الصنائع والخدم بشرط ان يتبعوا القوانين المرتبة والتي يمكن ان ترتب مثل سائر اهل البلاد لا فضل لاحدهم على الاخر بعد اتفاقنا مع دولهم في كيفية دخولهم تحت ذلك كما ياتي بيانه

الحادية عشرة ان الوافدين على ايالتنا من سائر اتباع الدول لهم ان يشتروا سائر ما يملك من الدور والاجنة والارضين مثل سائر اهل البلاد بشرط ان يتبعوا القوانين المرتبة والتي ترتب من غير امتناع ولا فرق في ادنى شيء من قوانين البلاد ونبين بعد هذا كيفية السكنى بحيث ان المالك يكون عالما بذلك داخلا على اعتباره بعد الاتفاق مع احبابنا الدول

فعلى عهد الله وميثاقه ان نجري هذه الاصول التي سطرناها على نحو ما بيناها . ووراءها البيان لمعناها . واشهد الله وهذا الجمع العظيم المرموق بعين التعظيم في حق نفسي ومن يكون من بعدي ان لا يتم له امر إلا باليمين على هذا الامان الذي بذلت فيه جهدي ، وجعلت فيه سائر الحاضرين من نواب الدول العظام واعيان رعيتنا شهداء على عهدي ، والله يعلم ان هذا القصد الذي اظهرته ، وجمعت له

هؤلاء الاعيان وشهرته.هو ما اودعه الله في نيتي، واجراء اصوله وفروعه فورا اعظم أمنيتي ، والمرء مطلوب بجهده ، ومن عاهد الله لزمه الوفاء بعهده . والحق هو العروة الوثقى،والاخرة خير وابقى.وأستحلف من حولي من هؤلاء الثقاة ، والحماة الكماة ، ان يكونوا معي في اجراء هذه المصلحة يدا واحدة ، بقلوب سليمة متعاضدة،واقول لهم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ، اللهم من اعاننا على مصالح عبادك فكن له معينا ، واورده من توفيقك عذبا معينا ، اللهم اجعل لنا من عنايتك واعانتك مددا ، وهب لنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشدا ، منك الاعانة على ما وليت ، والمهدي من هديت ، والخير كله فيما قضيت ، هذه مقدمة انتجتها الاستشارة ورءاها العبد الفقير ناجحة صالحة ، فاعنا اللهم ببركة القرءان واسرار الفاتحة . والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده المشير محمد باشا باي صاحب المملكة التونسية في ٢٠ المحرم فاتح سنة ١٢٧٤



سقوط الدولة الاموية

قيام الدولة العباسية
اسباب ونتائج

منقول عن كتاب شمال افريقيا تاليف احد الكتاب الباحثين من التونسيين .

لما افحش سواس الامويين وخلفاؤهم في امر العصبية العربية واستخدموها في توطيد الحاكمية المضرية اضطرتهم السياسة للتعسف في تطبيق بعض الاحكام من الكتاب العزيز اقرارا للدولة في نصاب المروانيين . فاحفظوا صدور منافسيهم من بني هاشم . واضرموا الغيرة في نفوس القحطانيين وربيعة الى ان آل امرهم الى الثورة والاعتزاز بالعصبية والعشيرة وانقسام العرب الى شقين ـ راض ـ وناقم ـ فالراضون هم الاقلون القائمون بالدولة الناهضون بامرها ومن لف لفهم من الاجناد والمصطنعين والناقمون هم الاكثرون المنعزلون عنها المجدون في اسقاطها وهم احزاب منهم المفسد ومنهم المصلح جمعت ما تفرق من اهوائهم كلمة المعارضة للامويين وهم فيما بينهم على خلاف تام في المبادي والمقاصد وشكل تاليف الحكومة .

دعوى الناقمين

انكر الناقمون على اختلاف مشاربهم واحزابهم على الامويين تطوير الحكومة وقلب وضعيتها من الديمقراطية الاسلامية الصرفة الى الاستقراطية الاموية الوراثية وسلوكهم لنمط من السياسة مخالف لما نهجه

الخلفاء الراشدون . رضي الله عنهم ، وتغافل المنكرون . عن - حركة الزمن - وتأثير المحيط - واقتضاء الحوادث - وهي عوامل انقلاب وتغيير لا مدخل فيها للاختيار فعلها فوق ارادة الامويين وحذر المخلصين وعسف الناقدين .

حكومة الخلفاء الراشدين

كانت الحكومة على عهد الخلفاء الراشدين هي اشبه بالرئاسة الروحية منها بالرئاسة الدنيوية واعلق بالسذاجة والفطرة منها بالحضارة والتصنع . فلا قصور ولا بلاط . ولا حشم ولا حجاب ، ولا وزراء ولا اعوان . ديوانهم المسجد واجنادهم المسلمون وامرهم شورى بينهم - اكفاء لبعضهم سواسية في الحقوق . لا آمر ولا مأمور . يتفاضلون بالصالحات من الاعمال والسابقة الى الاسلام . ياخذون من الغني ويوسعون على الفقير ويجعلون الفيء في اهله . همهم من الدنيا مرضاة الله وكرامة الاخرة

الديمقراطية الحقة

كان الاعرابي الجلف يفد على امير المومنين من اقاصي البادية اشعث اغبر على قلوص اعجف ينيخه برحاب المسجد - دار ندوة المومنين - ثم يدخل على اميره فيدعوه باسمه كما يدعو راعي شويهاته فيلبيه تلبية الترب للترب بلا صغار ولا كبرياء فيداوله ما شاء من امر الحكومة . ثم يعود من حيث اتى وهو لا يشعر بعظمة الملك وجلال السلطان إلاّ بقدر ما انبث في روعه من هيبة الطاعة وفضيلة الانقياد . وان اسمع اميره من خشونة القول وجفاء الحديث ما تتثاقل عنه النفوس خفض له الجناح ولا ينيه الى ان تزول السخيمة عن صدره ويعرف حق امير المومنين دون

اذلال ولا خرق للحرية التي وهبها الله للناس وسلبها ملوك الاطلاق

ماذا عساني اقول واكتب عن هولاء الخلفاء وقد زكى الله نفوسهم وطهرهم من اعلاق الدنيا وشهواتها ولم يجعل لها حظا منهم ينزع بهم الى الملك تنويها بشرف الرسالة وتكريما لمقام الصحبة لئلا يحفظ عنهم شيء غير الاصداع بامر الله . ناهيك بقوم عاشوا في الدنيا اتقياء وخرجوا منها اصفياء . فقد كان يجبى للفاروق رضى الله عنه خراج . فارس . والعراق . والشام . ومصر . وبرقه . وصدقات الحجاز . ونجد . واليمن . واخماس الفيء . وحشو بيت ماله غنى الدنيا . ومع ذلك كان عطاؤه لا يزيد عن خمسة دراهم في كل يوم وكان يستكثرها . ولو شاء لبنى لنفسه قصرا من ذهب مكللا بالدر واليواقيت واقام للخلافة بلاطا يبز به كسرى وقيصر من غير ان يؤثر في بيت المال او يخل بعطاء المسلمين ؛ لكنه بنى ما هو افضل من القصر الذهبي المكلل . بنى المملكة الاسلامية وشيدها افضل تشييد . واقام بدل البلاط دولة ارتج لها المعمور وخلد بهما من المئاثر ما لا تبيره الدهور ولا تفنيه العصور .

فرجال هذه سيرتهم وسريرتهم وتلك مناقبهم لا يمكن عدهم من الرجال العاديين الذين يعرفهم الناس . ولا سبيل لجعل حكومتهم مثالا لما عسى ان يتلوها من الحكومات .

حسبك ياصاح . حكومة تقوم على عقيدة ان الله تعالى جعل الدنيا فتنة لعباده وامتحانا لاوليائه . ثم صيرها اليهم ليبلوهم ايهم احسن عملا ثم يتولى حسابهم وهو لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ احصاها ولا يلتهم من عملهم شيئا يوم تجزى كل نفس . وهي بما كسبت رهينة ولا يظلم ربك احدا .

ان الحكومة القائمة على اساس التقوى والمراقبة الالهية لا يمكن عدها من طراز الحكومات التي يعرفها الناس . وانما هي من قبيل الخوارق العادية المقرونة بالتحدي المختصة باحكام النبوات فلا مطمع في ظهورها على يد غيرهم . ولا يصح قياسها بحكومات السواء من الناس

حكومة الامويين

قامت حكومة الامويين اثر حكومة الخلفاء الراشدين بعد ثورة ديمقراطية كتم انفاسها الامويون وانشأوا على انقاضها هيئة اكثر تشكلا بالطبيعة البشرية واوسع قابلية للتطور . فوثبت بالمسلمين وانتقلت بهم من طور البداوة والسذاجة الى طور الحضارة والانتظام . واقتبست اصولا كثيرة بتاثير الاحتكاك والامتزاج بالمجاورين . منها تحويل الخلافة الى ملك وانقلاب الخلفاء الى قياصرة تحرسهم الاجناد ويسيرون في الحفل تخفق فوق رءوسهم الاعلام والبنود وتحيط بهم الغاشية والجنود .

ثم تدرجوا في الاقتباس وانشؤوا الدواوين وطبعوا المسكوكات واحدثوا الحجاب ورتبوا الاجناد وجعلوا العطاء وظائف لاهل المناصب ونصبوا الوزراء واتخذوا البريد وساسوا الملك بالاصطناع والتشريف واقاموا هيبة السلطان في القلوب واتخذوا الزخارف والزينة ولبسوا الخز والديباج والوشي وتحلوا بالاساور والاطواق المرصعة وحملوا التيجان وتقلدوا السيوف المزركشة والمناطق الجميلة .

وبدى لهم حال في اقتضاء الاموال انكره الناس كانوا كلما انفتح عليهم باب من الانفاق فتحوا من قبلهم على الامة اصنافا من الجبايات وافادتهم تجارب الازمات ان لابد من احتجان الاموال لمقابلة العسرات

وتلافي طوارق الآفات فسلكوا في ذلك مسلك الدول العريقة ولم يكن عهد بمثله للعرب فحسبوه بلية وجعلوه وترا يرمون عنه المروانيين والانسان عدو لما جهل وحرب لغير ما الف

وزاد الطين بلة امساك العطآ عن عامة سكان الحرمين من غير الاجناد الذي كان دارا على عهد حكومة الخلفاء فاضطغنه المحرومون ورفعوا به عقيرتهم للمز المروانيين بالاثرة ونبذ الدين . ولو انصفوا لعذروهم .

لم يعدل الامويون عن العطاء المسنون على عهد الراشدين لمجرد احتجان المال او لتبذيره في اقامة البهرج للملك او العصبية بل لذلك سبب اخر اهم يعرفه المغرضون انفسهم وانما يغمضون عنه اعينهم لئلا يرونه . وهو تكاثر العدد بالنمو وكثرة المواليد عن الوافيات مع زوال العسر وتوفر اليسر حتى تضاعفت النسبة مرارا وصاروا بعد ان كانوا يعدون بالالاف يعدون بالملايين وصار جند الامويين باتساع نطاق الدولة وترامي اطرافها وكثرة ثغورها اضعاف من كان يجري عليهم العطاء حسب ديوان عمر . لذلك وجب على الامويين تعديل نظام العطاء ومطابقته لحالة الدولة المالية ووضع الموازنة بين الواردات والمصاريف شأن الحكومات النظامية المتينة

تقرر النظام المالي للحكومة الاموية على اساس متين على عهد امير المومنين عبد الملك بن مروان وقصر العطاء على اهل الولاية والمرتبين من الاجناد وصرف المدنيين لتعاطي الاسباب وطلب الرزق من وجوهه المعلومة . بعد ان انفتحت لهم الدنيا وتدانت المكاسب من ايديهم وجعل نصيبهم في الحرية والامن والرخاء وحملهم على التنافس في الانتشار

والاكتساب وادنى لهم من المرافق والحظوظ فوق ما كانوا يرجون ويؤملون

ليس في وسع اي حكومة صالحة تتشكل في العالم ان تقوم باعالة مجموع رعاياها ـ وهم هجود رقود ـ ولم يصنع من ذلك عمر ما صنع إلّا لما جند العرب وسيرهم لفتح فارس . وسوريا . ومصر . وبرقة . الخ وكان حقا عليه ان يقوم باودهم ويكفل رزقهم وهم جنده الذين يغزوا بهم في سبيل الله وما كان ليعطيهم رضي الله عنه عن هنات

واذا امكن لعمر ان يجند مجموع العرب ويشركهم في العطاء فهم قلائل في ذلك العهد بالنسبة الى ما صاروا اليه والفتوحات متوالية والغنائم كثيرة والخراج موفور والصدقات نامية افكان يتسع للدولة الاموية ان تجيب الى ذلك والاسلام ضارب بجرانه من البرني الى جدار الصين وشقة الفتوحات بعيدة والنفقات طائلة والغنائم قليلة واهل الخراج (وهم اعظم مورد للحكومة) مقبلون على الاسلام ؟

لو فرضنا جدلا ان كنوز الدنيا انسابت الى خزائن الامويين وقسموها بالعدل بين المسلمين هل يكون هذا الصنيع مرضيا للمخالفين ؟

بربك . ماذا ينوب المخالف من هذه القسمة وهي بيت القصيد انه لا ينوبه اكثر من درهم ؟ وهل يرضيه ذلك ويقنعه ؟

ام انه يريدها قسمة ضيزى اشباعا لنهمه وسواء لديه بعد ذلك قام العدل او قعد ؟

لا شك انه يريد الوجه الثاني وفيه تتجلى صورة الحقيقة المخجلة من صخب هؤلاء الناقمين ونواياهم . وما هي غير الانانية وحب الذات

ان من يلم باقوال وآراء (اكثر) المخالفين للامويين يعلم انهم كانوا يريدون حملهم على جعل العطاء حقا موروثا في البيوت ينتقل من الآباء الى الاصلاب بلا حد معلوم ولا في مقابل عمل معروف . فصاراهم ان يمت احدهم بنسب مشهور وصحابي مذكور . وليس عليهم بعد ذلك خربت الدنيا او عمرت ولو كانوا يفقهون لادركوا ان العطاء في ذاته بغير عوض رزق غير مبرور بما كان ضرره على الهيئة الاجتماعية اشد من حرمان المستحقين لانه يدفع الى استمراء طعم الكسل والبطالة ويبرر الحياة الطفيلية وهو امر تتحاماه الامم الاثيلة لذلك كان اتهام المروانيين من هذا الجانب غير سديد في نظر الباحثين وربما اقاموا لهم الف عذر .

لسنا ندافع عن سياسة الامويين لكننا نريد انصافهم ونقول عنهم ما نعتقده صدقا ولا اجمل من المؤرخ اذا كانت حليته الصدق والانصاف

وجماع القول ان الامويين وجدوا على راس انقلاب مهول لم يحسن المخالفون فهمه ولو فهموه لاستفادوا منه كثيرا وسايروا نظام التحول وتركوا هذه الحكومة النجيبة تتمم برنامجها المعلوم ولو فعلوا ذلك لخدموا الاسلام اجل وانفع خدمة . لكن لا سبيل لذلك مع قوم بسطاء حشوهم بعض رجال ليست لهم نية صالحة لا يستفيدون إلاّ بافساد برنامج المروانيين وتنحيتهم عن الملك ولم يجدوا لانفسهم دعوة مؤثرة في اعماق النفوس يسلسون بها قياد العامة غير اتهام الامويين بالزيغ ومخالفة احكام الكتاب وسنة الرسول ونهج الخلفاء الراشدين لوضوح ذلك في منازع الانقلاب واشتباهه بما يدعون . وما كانت دعواهم في الحقيقة إلاّ مجرد

شغب وتضليل يصدق عليه ما قاله علي كرم الله وجهه - كلمة حق اريد بها باطل - لمن قال له لا حكم إلا لله وإلا فمن يستطيع ان يدفع سنن الانقلاب في الامم ويعاكس نظام التحول ؟

وفعلا فان اخصام المروانيين قد واتتهم الايام واسرعت اليهم الدهماء وتقبضوا على الخلافة لكنهم لم يعودوا بها الى حكم الراشدين . بل تجاوزوا بها نظام الاستقراطية المروانية العربية الى حكم الاستقراطية اللادينية . وظهرت سرائرهم للناس انهم كانوا طلاب تراث وملك لا طلاب اصلاح . وما القناع الذي وضعوه على وجوههم إلا لاخفاء مقاصدهم عن الناس

هفوات سياسة الحكومة الاموية

لم تكن للحكومة الاموية هفوات يعرفها لها التاريخ تنكبت بها عن المحجة البيضاء التي اتى بها الاسلام غير ما كان منها من ترجيح جانب السياسة على الدين في اتخاذ العصبية وتصلبها في امر الحاكمية العربية وحمل العرب على اعناق الامم الداخلة في الاسلام مع ان عذرهم في ذلك واضح تبرره سياسة الفتح والاستيلاء وهو تطوير المفتوحين وفصلهم عن ماضيهم . وما فعلوا ذلك الا بنية المحافظة على الاسلام في الصبغة القومية التي قام بها في وجه العالم داعيا الى الله

ولكن هذه الهفوات المبررة عند قوم المبغضة لدى آخرين كانت سلاحا ماضيا في ايدي اخصام المروانيين من بني هاشم . وخزاعة . وربيعة وغيرهم . يثيرون به عاطفة الاعاجم من المسلمين حتى كان من امرهم ما كان .

كانت دعوى مخالفة الاسلام في سياسة الحكومة للاعاجم اظهر منها

في سياستها مع العرب . اذ كانوا يحملونهم الخراج بعد الاسلام ويقدمونهم في الجهاد ويمنعون عنهم حقهم في الفئى ولا يولونهم المناصب السياسية ويعدونهم خولا لهم وعبيدا . مع ان الاسلام السمح رفع بهم الى سوية العرب وجعلهم متكاتفين في الحقوق وان اختلفوا في الانساب . لذلك كان صوط الناقين الصادي سريع التاثير فيهم . ولقيت بينهم مذاهبهم السياسية السرية التي نصبوها للكفاح نجاحا بينا

المقاومة بالاحزاب والمذاهب السياسية

كانت المذاهب السياسية التي قام بها الشيعة . والشراة . والحرورية . وغيرها . تعمل في طي الخفاء والظهور لاحداث انقلابات سياسية ومذهبية في فارس . وخراسان . وافريقية . والاندلس . بعد ان خفتت في جزيرة العرب في العراق . والحجاز . فكانت تبدو وتغيب والامويون منها بالمرصاد الى ان استفحل مذهب الشراة بالبربر ووضحت آثاره بمقتل يزيد ابن ابي مسلم عامل يزيد بن عبد الملك على افريقية والمغرب والاندلس فانتبه على دوي هذه الكارثة النازعون الى الخلافة من العباسيين وكانوا ممن يرشحون لها انفسهم بعد ما اخفق فيها سعي الطالبيين اولاد عمهم وكاد ينقطع املهم فيها بسبب اخفاق الثورات التي اشعلوها مرارا في العراق واليمن . والحجاز واستفادوا كثيرا من الاغلاط التي كبوا فيها ـ ومن الحكمة الاستفادة من اغلاط الغير ـ فحاذروا الوقوع فيها .

اتكل الطالبيون وغيرهم من النزاع الى طلب الخلافة على العرب الصرح فكانوا يقتعدون بهم غارب الطريق بادنى لفتة من الامويين . وادرك العباسيون من نجاح ثورة البربر ان الاعتماد على الاعاجم انجم

للمقاومة فانصرفوا الى الموالي وتحاموا العرب وسيروا دعاتهم ومبشريهم الى خراسان فتوقفوا هناك لما لم يتوفق اليه من سلفهم من القائمين

قيام دولة اثر دولة

ليس من العبر التاريخية ان يعرف الانسان سطحيا ان الدولة العباسية قامت بعد الدولة الاموية وانما العبرة ان يعلم ما تخلل بين سقوط هذه وقيام تلك من العوارض والاسباب وماصرف من المجهودات لانه ليس من السهل الهين سقوط دولة وقيام اخرى بمجرد ظهور عزم القائمين على الامر اذا لم يكن العزم مقترنا بمقدمات واسباب قائمة على العلم . والتدبير . والذكاء

لذلك وجب علينا ان نبحث في المجهودات العظيمة التي تقدمت ظهور الدولة العباسية . وفي ذكرها دربة ونشاط للعقول على ادراك سر تطور الامم . وفوق ذلك فهي حلقة مهمة في سلسلة تاريخ النبوغ العقلي المملوء بالعبر . ونحن لا نعرف حقيقتنا الاّ متى عرفنا اسرار ماضينا فقد حكمتنا الدولة العباسية زهاء - ١٦٣ سنة اي من سنة ١٣٤ - الى - سنة ٢٩٧ فالبحث في كونها هو في الحقيقة بحث عن قسم عظيم من ماضينا

مبدا الدعوة العباسية

اول من دعا للعباسية واسس لها التشكيلات السرية محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وقد المعنا فيما تقدم الى بعض الاسباب التي جعلته يتلع بعنقه الى الخلافة ولما اتم وضع التشكيلات انتدب ابا منصور طلحة بن رزيق ابن ابي سعد وكان رجلا

صليب العود ذا راي ونجدة حافظا لاسرار الدعوة بصيرا بمنازع الشيعة كفؤا للمهمة . وهو القائل لابي مسلم لما شاوره في امر بعض الخارجة عليه اجعل سوطك السيف وسجنك المقبرة يستقم لك اعوجاج الناس . كان في اوليات امره قائدا في جيش الثائر عبد الرحمان بن الاشعث لما خرج على الامويين فعفى عنه الحجاج . ولازم بعده جيش المهلب بن ابي صفرة حتى مات المهلب وحضر حروبا وتقلبات سياسية مرت على الدولة المروانية اكسبته علما وتجربة فيما كان بسبيله . ثم انضم الى حزب محمد بن علي واقام على صحبته حتى سيره الى خراسان سنة ١٠٣ يدعو الناس سرا الى بيعة الرضاء من آل محمد . وتقدم اليه ان لا يسمي احدا لئلا يعلم امره فيقطع به الامويون ويقتلون الدعوة في مهدها . فاقام بخراسان مدة يستالف من بها من شيعة بني هاشم . حتى دخل في حزبه سبعون رجلا فاختار منهم اثني عشر نقيبا وكان معدودا من جملتهم . وهم سليمان بن كثير . مالك ابن الهيثم . زياد بن صالح . عمر ابن اعين . زياد بن شبيب المعروف بقحطبة . ابوعيينه موسى بن كعب لاهز بن قريض . القاسم بن مجاشع . ابو مسلم اسلم بن سلام . ابو داود خالدبن ابراهيم . ابو علي الهروي . ابو منصور طلحة بن رزيق . وانتدب لرئاسة النقباء سليمان بن كثير . وجعل على الدعاة ابا داود خالد بن ابراهيم . واناط بمجلس النقباء النظر في سياسة الدعوة وقبول اللاحقين بها والداخلين فيها . واختار تعيين النقباء من اقاليم مختلفة من اعمال خراسان يجتمعون كل مرة في جهة . واتخذ لهم شعارا واشارات سرية يتعارفون بهما ولا

يقبلون داخلا في دعوتهم كائنا من كان إلاّ بعد استقراء احواله وبيعة الرضاء واداء اليمين وهذه صفته

البيعة واليمين

ابايعكم على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلي بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشي الى بيت الله وعلى ان لا تسالوا رزقا ولا طمعا حتى يبدأكم به ولاتكم وان كان عدو احدكم تحت قدمه فلا تهيجوه إلاّ بامر ولاتكم انتهى .

وعكف النقباء على الدعوة باقليم خراسان وتوجيه دعاتهم ومشيريهم الى سائر الآفاق وانتشر نفوذهم الخفي في نواحي عديدة وصارت لهم بها كلمة دون ان ينتبه لذلك الامويون ولا عمالهم . سوى انهم كانوا يظفرون احيانا ببعض الدعاة فيتقبضون عليهم ويشدوون في استنطاقهم فلا يبوحون لهم بشيء من سرهم فيهدرون دمائهم فلا يزيدهم ذلك إلاّ اصرارا وتمكينا ومحافظة على الكتمان . وكان لهذا الاصرار والتكتم اثر واضح في نجاح الدعوة .

ولم يزل امر الشيعة في تزايد ونمو حتى قبض محمد بن علي واعهد بالوصية من بعده لابنه ابراهيم الملقب بالامام . فبعث من قبله الى خراسان داعيته وكاتم اسراره ابا هاشم بكير بن ماهان سنة ١٢٦ – وبعث معه بالسيرة والوصية . فقدم مرو . وجمع النقباء ومن بها من رجال الدعوة فنعى لهم الامام محمد ودعاهم الى بيعة ابراهيم ودفع اليهم كتابه فاسرعوا الى عقد البيعة السرية ودفعوا اليه جانبا من مال الدعوة

فقدم به على ابراهيم ولم تطل بعد ذلك مدته حتى ادركته الوفاة فاوصى الامامَ ان يستوزر من بعده حفص بن سليمان المكنى

ابو سلمة الخلال وزير آل محمد

هو ادهى رجال الدعوة وابعدهم نظرا في الامور واعلاهم كعبا في التدبير واشهرهم صيتا دعاه ابراهيم الامام وقلده الوزارة . وكتب الى النقباء انه اسند امرهم اليه واوصاهم بالطاعة له وامره بالمسير الى خراسان والنظر فيما يصلح امر الشيعة هناك فمكث يدبر امورهم اشهرا . ولما انصرف عنها وافاه الامر بالتحول الى البصرة والاشراف منها على اعمال الشيعة وتسيير البرد واشغال الامويين عن الانتباه لحركة الدعاة واعمال الشيعة

ما كاد ابو سلمة يتسلم مقاليد الشيعة حتى ظهرت كفاءته وجدارته في ادارة الامور وحفظ الاسرار وتمكين الصلة بين النقباء وبث المبشرين والدعاة في جميع الافاق وتدريب الرجال على الاعمال الى ان تهيا له الامر فاخرج الى الوجود دولة عظيمة من عالم الخيال . وهو معدود من اعاظم الرجال الذين نبغ بهم الدهر

ابو مسلم الخرساني

ما زال امر الشيعة ينمو تحت طيات الخفاء حتى اجمع النقباء على الخروج فكتب سليمان بن كثير الى ابي سلمة الخلال يساله ان يكتب الى الامام ابراهيم ان يسير رجلا من اهل بيته الى خراسان يقلدونه طاعتهم ويسندون اليه قيامهم بالامر ، فكتب ابو سلمة بذلك الى ابراهيم وهو يومئذ بالحميمة من اعمال البلقاء . فعرض ابراهيم الامر على غير واحد من

رجاله وآل بيته فابوه ، ثم امسك مدة وعرض الامر على ابراهيم بن سلمة فلم يقبل فاجمع امره على ابي مسلم عبد الرحمان الخراساني

اصله ومنشاه

ينسبه المورخون الى ارومة فارسية كانت تقيم بخطرانية من سواد الكوفة وكان مملوكا لادريس بن معقل العجلي فسار به الى مكة وكان له شغف بآل البيت ويحب ان تصير لهم دولة . ولما دخل به مولاه على محمد بن علي اخذ بيديه يقبلهما ويبكي بكاء شديدا حتى رق له مولاه ووهبه للامام وقيل ابتاعه منه . وكان لم يزل حدثا فامر الامام بعض النقباء ان يقوم على تربيته وتهذيبه فلازمه مدة تخرج فيها عليه .ولما مات محمد بن عبد الله انتقل ولاء ابي مسلم الى ابراهيم الامام وكان به حفيا عالما بمقداره فانكحه ابنة ابي النجم وساق عنه صداقه . وكانت من كرائم النساء فعلت بها منزلته في نظر مولاه وكان كبير الهمة شديد الملوكية من صغره لا عيب فيه إلاّ حداثة سنه . وهو لم يقعد به في نظر الامام عن توجيهه الى خراسان لان العبرة بالمقدرة والكفاءة لا بالاسنان فوجهه واوصاه فذهب الى خرسان بمفرده حقيرا لا يوبه اليه فعاد منها بالدولة ومن خلفها الدنيا

وصية ابراهيم الامام لابي مسلم

يا عبد الرحمان انك صرت رجلا منا آل البيت فاحتفظ وصيتي ، انظر هذا الحي من اليمن فاكرمهم وحل بين اظهرهم فان الله لا يتم هذا الامر إلاّ بهم . وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في امرهم ولا تركن اليهم . وانظر الى هذا الحي من مضر فانهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت في امره منهم ومن كان في امره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء . وان

استطعت ان لا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل . فايما غلام بلغ خمسة اشبار تتهمه فاقتله ولا تخالف سليمـان بن كثير فانه شيخ دولتنا ولا تعصه . واذا اشكل عليك امر فا كتف به مني . فسر مودعا على بركة الله ، وكتب الامام بذلك الى النقبـاء . وقال اني قد وجهته بامري وامرته على خراسان وما غلب عليه بعدها فاسمعوا له واطيعوا . فقدم ابو مسلم خراسان سنة ١٢٨ فلم يقبله سليمان بن كثير لحداثته وحسب انه لا يقوم بامرهم وخاف على نفسه واصحابه فرده . وكان النقيب ابو داود خالد بن ابراهيم رئيس الدعاة غائبا خلف نهر بلخ . فلما قدم مرو ، اقرأوه كتاب الامـام فسالهم عن الشاب الـذي ارسل لهم فاخبروه ان سليمان بن كثير رده فارسل خلف جميع النقبـاء وجمعهـم في منزل عمران بن اسماعيل وعرض عليهم الامر . ونظرا للاهمية التاريخية التي وقعت لهذا الاجتمـاع احببت ان انقل ما دار فيه من الابحاث والمناقشات التي تصور للقارئين فكرة ذلك العصر



ما معنى القيمة في علم الاقتصاد

للانسان حاجات متعددة يسعى في استحصالها باقتناء بعض اشياء ذات منفعة او باستملاك بعض امتعة تكون بين يديه مما يعبر عنه بالثروة ـ والمقصود بالحاجات ههنا كل ما تشتهيه النفس بقطع النظر عن لزومه او عدمه فمن ذلك انهم يعتبرون شهوة التفسح مثلا حاجة مثل حاجة الاكل او النوم ـ كما انه لا علاقة بين الحاجة المصطلح عليها عند اهل هذا الفن وبين احكام الشرائع والآداب الاجتماعية حتى ان الميل الى شرب الكحول وغير ذلك من الامور القبيحة يعد حاجة في نظرهم ـ

اما المنفعة فهي وصف لكل شيء يمكن به استحصال حاجة من الحاجات بحيث انه يطلق حتى على الاشياء المضرة في نفسها ، ويشترط في صيرورة الشيء متاعا نافعا ان يدرك الانسان خاصية فيه صالحة لتسديد بعض شهواته ثم استملاكه لهذا الغرض ـ نعم هناك امتعة تلقب بالحرة وهي التي وان لم تجهل منافعها لا يسعى في استملاكها لوفرتها كالهواء الطبيعي ونور الشمس على انه يحتاج في بعض الاحيان الى استملاكها ايضا كغيرها وقد نشاهد ذلك مثلا فيما اذا استجلبنا مياه جهة ما بواسطة قنوات فان تلك المياه كانت اولا متاعا حرا ثم استملكت

هذا ولا تعتبر المنفعة في علم الاقتصاد إلا بالنسبة للادمي فيجب تعليق وجودها في الشيء على وجود شهوة انسانية او حاجة بشرية تقابلها بحيث ان المنفعة تكبر بقدر ما تشتد الحاجة اليها وتضعف بضعفها ـ اذن فما هي نتيجة هذا التصور ؟

اولا قد تكون منفعة الشيء الواحد مغايرة لنفسها اذا نظرناها بالنسبة الى شخصين متفرقين فاننا نجد في الشاب قوي البدن شهوة ركوب الدراجة «البسكليت» اشد منها عند المسن او العاجز وبذلك كانت منفعة العجلة في نظر الاول اكبر مما هي في نظر الاخر

ثانيا تختلف منفعة الاشياء بالنسبة للشخص الواحد بحسب انواع الحاجات المراد استحصالها ـ فان الانسان اذا كان تعبانا يفضل فراشا يستريح فوقه على قراءة كتاب وان كان مفيدا

ثالثا تختلف منفقة الشيء الواحد في نظر الشخص الواحد بحسب الاحوال فان الجوهر مثلا يصير غير نافع لصاحبه اذا كان منفردا في صحراء محتاجا للمؤنة اما اذا كان مطمئنا من جهة الحاجات الاولية كالاكل واللبس فان نفسه تتوق لحاجات الترف ويصبح للجوهر منفعة في نظره

اذا علمنا ما تقدم نقول ان قيمة الشيء هي مقدار منفعته في نظر مستعمله في حالة معينة ـ وتلقب هذه القيمة بالاستعمالية لتمييزها من نوع آخر سياتي الكلام عليه

طالما بحث العلماء للكشف عما يمكن ان تقدر وتقاس به القيمة الاستعمالية فكان احسن ما قيل في هذا المطلب ما قرره ستانلي جفونس وفلراس وغالب مقتصدي المذهب النمساوي تحت عنوان ـ مبحث اقل المنافع او مبحث المنفعة النهائية ـ وخلاصة ذلك ان كل جزء من متاع متشابه ومتجزىء له قيمة استعمالية قدرها اقل الشهوات الممكن استحصالها بواسطة ذلك الجزء في حالة معينة ـ لكن يحسن هنا ان ناتي بمثال ليتضح به المقال فلنتشخص فلاحا حصل من مزرعته اربعة اعدال قمحا فعزم على ان يبقى احدها للزراعة وان يخصص آخر لمؤنة عائلته وثالثا لعلف دابته وان يبيع الرابع ويشتري بثمنه طيورا فان كل عدل له في نظره قيمة استعمالية تخصه فاذا حدث حادث لم يبق بسببه إلا ثلاثة اعدال فلاشك ان هذا الفلاح يضحي اقل المنافع التي كان يروم استحصالها فيعدل في صورة مثالنا عن شراء الطيور . وحرمانه من ذلك يبين لنا ان المنفعة المضحاة هي مقدار قيمة العدل الرابع وبما ان الاربعة اعدال متماثلة النوع لا فرق بينها تكون تلك المنفعة هي مقدار قيمة اي عدل منها بدليل ان الفلاح اذا اضاع عنه احد

الاعدال سواء كان الاول او الرابع او غيرهما لا يحرم إلا من تلك المنفعة القليلة التي كان يترقب استحصالها من الرابع ثم اذا هلك احد الثلاثة اعدال الباقية ينجر من فقده حرمان الفلاح من قوت الدابة فتكون هاته المنفعة المضحاة هي قيمة اي عدل من الثلاثة للسبب الذي تقدم بيانه في الصورة الاولى وبالجملة فمهما كان عدد الاعدال تقدر قيمة الواحد منها بقدر اقل المنافع الحاصلة من تلك الاعدال وهي التي يعبرون عليها بالمنفعة النهائية لانها تقابل انهى الشهوات في درجة تاكد الحاجة اليها ونزيد ان القاعدة التي بسطناها لا تنحل في صورة ما اذا لم يضح الفلاح احدى شهواته وخير التنقيص من الثلاثة الاولى لترضية الاخرى بقدر الامكان لان ما اتخذه الفلاح في هاته الصورة انما يدل على ان التنقيص من جميع شهواته احب اليه واهون من حذف احداها او بعبارة اخرى انه ارتكب اخف الضررين وقيمة العدل المفقود تقدر بما نقصه الفلاح اذا كان ذلك في نظره اقل المنافع والقاعدة تنطبق كما تقدم

هذا واذا وجدنا بيد احد الناس متاعا لا يريد ان ينتفع به فهل يصح الظن بان ذلك المتاع مجرد عن القيمة ؟ كلا اذ لو شاء دفعه لغيره ببدل لاستفاد منه وربما عاد على آخذه بالنفع فيحصل من ذلك فائدتان او قيمتان استعمالية وبدلية يصح ان نقول في شان القيمة البدلية ما قلناه في القيمة الاستعمالية من انها لا عبرة لها إلا بالنسبة للادمي وحاجاته وقد وقع التوصل الى هذه الملاحظة الاولية منذ قديم الزمان قبل ان يتكون علم الاقتصاد اذ اننا نجد في كلام ارسطاطليس الحكيم ما يشعر بذلك فهو يقول ان لا قيمة للاشياء إلا بحسب حاجة الانسان اليها ولولا هاته الحاجة لما تصورت المعاوضات بين الناس وياتي بعدة امثلة منها ان القمح له قيمة بدلية والذباب ليست له قيمة مع ان خلقة الذباب اكمل من خلقة القمح

على ماذا تنتج القيمة البدلية ؟

تلك مسالة عويصة لم يزل المقتصدون مختلفين في حلها ـ فنهم من رأى استنتاجها من عمل الانسان قال «سميث» الانقليزي ان قيمة الشيء انما تقدر بكمية العمل اللازم لايجاده بحيث لابد من ان يكون عوضا المبادلة في نظر المتعاقدين مشتملين على عمل متساو

وصادقه في ذلك « ريكاردو » غير انه لا يعتبر العمل الحالي فقط بل جملة الاعمال الناشىء عنها الشيء حتى راس المال المستهلك في ايجاده لانه يرى راس المال نفسه نتيجة اعمال سالفة

اما «بصتيا» فانه لا ينظر الى العمل اللازم لايجاد الشيء وانما يراعي العمل الذي اعفى منه آخذ الشيء بسبب اخذه فيجوز حينئذ لصاحب متاع سلمه لغيره ان يشترط في مقابلته عوضا ذا قيمة اوفر من قيمة العمل الصادر منه اذا كانت تلك القيمة لا تتجاوز ما اعفى منه الغير من العمل بتسليم الشيء اليه ـ بحيث ان المتبادل في نظر «بصتيا» ليس هو المتاع نفسه بل الجميل الحاصل عن اعفاء المتعاقدين من عمل كان من شانه ان يكدر كلا منهما اكثر من تسليم العوض وذهب « كارل ماركس» قطب الاشتراكيين الى ان العمل هو المنشأ الوحيد لقيمة الاشياء ـ ومما يستدل به ان المعدن المكنون في خبايا الارض لا قيمة له ولا منفعة ما لم يدركه العمل ويخرجه ويهيئه للانتفاع به فيقيس على ذلك ان الفائدة التي ياخذها صاحب راس المال من مداخيل المشاريع الصناعية هي اختلاس ليس إلا مما ينبغي ان يعود للعملة

وقد عارض بعضهم ونازع في نسبة اصل القيمة الى العمل ومن الملاحظات المبداة في هذا الغرض اننا نجد مياها معدنية وغلالا طبيعية لا تكلفنا ادنى عمل وهي صالحة ـ ونجد ايضا تصويرا او نقشا اوفر قيمة من غيره مع ان مدة العمل متساوية وبالعكس نجد بالاسواق بضاعات متماثلة في القيمة مع انها مجلوبة من موارد مختلفة واستدعى ايجادها اعمالا متغايرة وكذلك في صورة الاختصاص فان القيمة مستقلة

عن العمل ولا حد لها إلا ارادة المختص فهي تتغير بحسب هاته الارادة ولو ان ظروف العمل لم تتغير - ومن المقتصدين من نسب اصل القيمة الى منفعة الشيء في ذاته مع عزته وقلته - نعم ان المنفعة المجردة لاتكفي لتوفير القيمة في نظر الانسان فكل يعلم ان حاجته للخبز اشد منها للجوهر والحال انه لا يخول للخبز مثل القيمة التي يراها للجوهر وذلك لان الجوهر نادر والخبز موجود بكثرة وربما تاتي ظروف تظهر فيها هاته القاعدة جليا برجوع الحاجات لمركزها الطبيعي فلا شك ان الخبز في بلاد يحصرها العدو يرتفع بسبب قلته الى قيمة تفوق قيمة الجوهر وما الامور إلا نسبية كما قلناه في البداية

لكن لايغرنا هذا حتى نظن كبعضهم ان الندور وحده يكفي لتخويل قيمة للاشياء بل لابد من وجود المنفعة الذاتية ولا قيمة لبعض المخلوقات الغريبة رغما عن قلتها ما لم تكن محتوية على خاصة تناسب حاجة من حاجاتنا

اما مقتصدو المذهب النمساوي فانهم يرون القيمة البدلية ناتجة عن مراعاة المنفعة النهائية كما تقدم في القيمة الاستعمالية - وخلاصة قولهم ان كلا المتعاقدين يسعى في اخذ شيء لا تقل قيمته عن اقل المنافع المؤمل تحصيلها من الشيء الباذل هو جزءا منه فاذا رجعنا لمثالنا السابق نقول ان صاحب الاربعة اعدال قمحا لا يعاوض احدها إلا بشيء تحصل له منه منفعة مساوية للمنفعة المضحاة وهي اشتراء الطيور وفي صورة بقاء ثلاثة اعدال فقط تكون القيمة المطلوبة مساوية لاقل المنافع اذ ذاك وهي امكان تربية دابة وهلم جرا بحيث ان هذا المذهب يرى تغير القيمة بتغير المنفعة والندور وهو عين ما يراعيه المقتصدون السابق ذكر كلامهم غير ان اسلوب التوصل الى القاعدة يختلف

والحقيقة ان القيمة صفة لا يمكن تحويل اصولها الى عنصر واحد بل هي مركبة وناشئة من جميع الاجزاء التي بينها اولئك وهولاء

ان على المناقشة في هذا الموضوع نظرية محظة اذ لا يراعي في العملية إلا الثمن ويحول المتعاقدون جميع القيم الى نسبة واحدة بفضل الاصطلاحات المتعلقة بالنفود



آراء علماء تونس في الدستور

كنا اشرنا في الجزء السالف من « الفجر » ضمن المقالة التي بسطنا فيها الاسباب التي جنحت بالمقدس المبرور الامير محمد باشا باي لاعلان الدستور (عهد الامان) بالمملكة التونسية ان اول من اسرع بالموافقة على اعلانه وجريان احكامه فضيلة الاستاذ الجليل شيخ الاسلام المرحوم سيدي محمد بيرم وحيث اننا نشرنا بالفصل الثاني من هذا الجزء نص « عهد الامان » ناسب ان نقفي ذلك ببيان آراء علماء الشريعة الاسلامية في البلاد التونسية تنبيها للاذهان وايقاظا لاولي الشان واوضح ما اطلعنا عليه في هذا الباب ما كتبه العالم الجليل والوزير الخطير المرحوم الشيخ احمد بن ابي الضياف والى القراء الفضلاء نصه

« وامر (يعني المقدس سيدنا محمد باي) ابا النخبة مصطفى خزنه دار بجمع اعيان من رجال الدولة لتفسير تلك القواعد (بنود ١١ عهد الامان) وايضاحها فقال له الوزير :

امرك مطاع والمناسب في هذا الامر الخطير ان ينتخب سيدنا اعيانا منهم بعض اهل المجلس الشرعي ويكتب لهم امرا يعتمدونه في ذلك

فاستحسن (يعني المقدس سيدنا محمد باي) رأيه وانتخب افرادا وتلكأ شيخ الاسلام عن الحضور لامر يعلمه الله فقال له الباي : قد افتيتنا بالقبول من اول الامر وان التنظيمات الخيرية لا تعارض ديننا فما بالك تمتنع من الحضور الآن والزمه الحضور وكتب لهم بما نصه :

« امرنا هذا الى العلماء الاعلام الفقهاء الاعيان الجلة الفضلاء من

اهل مجلسنا العلي شيخ الاسلام سي محمد بيرم والشيخ سي احمد بن حسين باش مفتي المالكية والشخ سي محمد بن الخوجه المفتي الحنفي والشيخ سي محمد البنا المفتي المالكي والوزراء الاعيان النصحاء الاركان اولي الرفعة والشان ابننا الاعز وزير العمالة مصطفى خزنه دار ووزير الحرب امير الامراء ابننا مصطفى باش آغه ووزير البحر امير الامراء ابننا خير الدين ووزيرنا الاحضى امير الامراء ابننا اسماعيل صاحب الطابع والاحضى امير الامراء ابننا محمد امير الاعراض وكاتب سرنا امير اللواء محبنا الشيخ سي احمد بن ابي الضياف حرس الله جميعهم واحسن صنيعهم واننا امرناهم بالاجتماع في دارنا بالقصباء يومين في كل اسبوع وهما الاربعاء والخميس للتفاوض في شرح الفصول المسطرة في عهد الامان وكل واحد يتكلم بما يدين الله به على مقتضى آداب البحث في الادلة وايضاحها ولا يخجل من لم تنهض حجته فالحق احق بالاتباع وامرناهم قبل ذلك بقراءة مارتبته الدولة العلية العثمانية وغيرها من الدول ليجروا التراتيب على ما يصلح ببلادنا بعد استفتاء من ذكر من العلماء فيما تتوقفون فيه من الامور ويرفعوا الينا عمل كل اجتماع لننظره ونمضي ما عليه اكثر راي الجماعة ولايلزم الفقهاء المذكورين الحضور الا يوم الاربعاء لاشتغالهم يوم الخميس بالمجلس الشرعي بدار الشريعة والله تعالى ولي اعانتهم وتوفيقهم على هذه المصلحة التي يعم نفعها بحول الله تعالى والسلام وكتب في ١٦ اشرف الربيعين سنة ١٢٧٤ »

« ورتب لهذا المجلس من نبهاء الكتاب وحذاقهم الامير الاي ابا عبد الله محمد البكوش والفقيه الاكتب ابا المحاسن يوسف جعيط وربما حضر معهم الالمعي المنصف البارع ابو عبد الله حسين رئيس المجلس

البلدي . يكتبون ما يقع بين الجماعة من المرافعات والمحاورات واجتمع هذا المجلس بدار الباي رئيسه الوزير مصطفى خزنه دار وقرىء عليهم مافسرت به القاعدة الاولى من عهد الامان (الدستور) فاستحسنوه حتى قال شيخ الاسلام : « يمكن لي ان اخطب يوم الجمعة بشرح هذه القاعدة واصلي بعدها الجمعة اذ هي ملاك امر الدين والدنيا » . وطلب الوزير ابو محمد خير الدين من الفقهاء الحاضرين ان يكتب كل واحد على قواعد عهد الامان (الدستور) مايراه ويدين الله به فاجابوه الى مطلبه لما راوا من توقد فكرته وكمال فطنته فكتبوا وتقاربوا في المرمى وجلى شيخ الاسلام فيما كتبه بشهادتهم ولولى الاطالة لنقلنا ذلك »

قال ابن ابي الضياف مورخنا الشهير :

« ثم طلب الفقهاء المذكورون الاستعفاء من الحضور بهذا المجلس واذا توقف بقية المجلس في امر يتعلق بهم من الفقه يسئلهم ويجيبون بالكتابة وكان الظن بهم تقديم هذه الطاعة المتعدية على غيرها من الطاعات القاصرة – وتعللوا بان منصبهم الشرعي لايناسبه مباشرة الامور السياسية الى غير ذلك من المعاذير التي لو لم نرها بقلبهم مانقلتها . وقبل الباي عذرهم واراحهم من تعب الحضور . ولسان حال المسلمين بهذه الايالة المسكينة يقول : مما يجب اعتقاده ان الله الذي دينه النصيحة لائمة المسلمين وعامتهم ومن اوامره الواجبة على عباده تغيير المنكر ولو بالقلب . ومن شريعته السمحاء ارتكاب اخف الضررين عند العجز عن السلامة منهما . الى غير ذلك من تيسير هذه الشريعة الصالحة لكل زمان . يسئلهم عن ذلك يوم تبلى السرائر ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم . وكيف يروج

تعللهم وهم الاعلام السابقون في ميادين العلوم المعقولة والمنقولة . فوا أسفا على العالم الصالح ابراهيم الرياحي الذي كان يهتف بهذه النعمة لو كان حيا وجاءته . اقول هذا وان كان احدهم من اشياخي في الحنفية لانهم ضيعوا بذلك فرصة نفاق سوق العلم وتقدم اهله وزادوا اهله بعدا على بعد ولله غيب السماوات والارض واليه يرجع الامر كله .

وعالج بقية الجماعة فصول القانون كل على حسب استعداده والله لايضيع اجر من احسن عملا وتدرع بعضهم جنة من نار الصبر محتسبا والاعمال بالنيات . وجعل الباي مجلساً لنفسه من اعضائه شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بيرم والوزير ابو النخبة مصطفى صاحب الطابع والوزير الكونت جوزاف رافو وغيرهم يقبل فيه ما يعرضه هذا المجلس المامور مع حضورهم بانفسهم يوم العرض ولما اتممنا شرح القاعدة الاولى وهي قاعدة كل القواعد وقرأناها على الباي في ذلك المجلس بدرت من بعضهم بادرة يغفر الله له فيها وهي ان قال :

اي شيء بقي لسيدنا ؟ ووافقه على ذلك بعض المتزلفين والباي ساكت لانه قبض يديه لجنبيه لاجل نفع الرعية حين هولت عليه الامر كما تقدم . فوجمنا لهذه البادرة الباردة فتكلم الوزير خير الدين وكان اثبت القوم جنانا وان شئت قلت واقواهم ايمانا وقال له :

نعم يبقى لسيدنا مابقي للسلطان عبد المجيد وما بقي لسلطان فرانسا وسلطانة بريطانيا وغيرهم من السلاطين بالقانون

ثم قلت لهذا القائل هلا قلت هذا عند سماعك لهذه القاعدة وهلا اعملت الفكر في فهمها قبل ان تسلمها والمراكب بحلق الوادي (اسطول

فرانسا الذي الح قائده على الباي في اعلان الدستور) واتيته بنسخة مصححة من عهد الامان فاعاد قراءة القاعدة واعتذر بنسيانها خجلا . وسبحان من تنزه عن الخطا والنسيان وهو القاهر فوق عباده وهو الحليم الخبير يقول مايشاء ويجري مايريد لايسئل عما يفعل وهم يسئلون »

هذا راي علماء الشريعة الاسلامية المطهرة من التونسيين على عهد دولة المقدس المبرور محمد باي مسطرا بقلم واحد منهم والصق الناس بهم

اما راي فطاحلهم على عهد المشير الصادق باشا باي الذي اتم مشروع الدستور التونسي في عام ١٢٧٦ فلا احسن من تشخيصه بقصيدة الاستاذ المرحوم الشيخ محمود قابادو المفتي المالكي المتوفي سنة ١٢٨٨ وقصيدة الاستاذ الكبير شيخ الاسلام المرحوم احمد كريم المتوفي سنة ١٣١٥ والى القراء نص الاولى بلفظها الرائق ومعناها الفائق وفي الجزء الاتي ننشر الثانية ان شاء الله قال الاستاذ قابادو رحمه الله

العدلُ عهدُ خلافةِ الانسانِ * ومدادُ ظلّ الامنِ والعمرانِ
وتمدنُ البشرِ اقتضى إيلافهم * بتعاضدٍ من دائنٍ ومدانِ
وتطامحُ الخلطاءِ لاستبدادهم * بالقتلِ داعيهم إلى العدوانِ
فتقرّرُ السلطانِ ضربةُ لا زبٍ * لنظامهم بالعدل والاحسانِ
والعدل كلُّ العدلِ يقصرُ دونهُ * رأي اللبيبِ وفطنةُ اليقظانِ
ولو انهُ تبعَ لاهواءِ الورى * شقَّ الخلافُ عصاهُ بالعصيانِ
والنفسُ جامحةٌ لعزِّ رياسةٍ * طبعًا وجامحةٌ عنِ الاذعانِ
والرأيُ إن لم يصفُ عن كدر الهوى * لم تبدُ فيهِ حقائقُ الاعيانِ
والشرعُ قانونٌ متينٌ محكمٌ * ما فيه للتبديل من امكانِ
سجدت له الالبابُ سجدةَ مذعنٍ * وتقاصرت عنهُ يد المطعانِ

وضعٌ إلهيٌّ يحيرُ كمالَه * متصفحيه بناظرٍ ملئان
ما من مطيةِ طيةٍ إلاّ وقد * أخذت لها ءاياتهُ بعنان
ما إن يضلُّ ولا يزلُّ مقيمهُ * أبداً ولا يستامُ بالخسران
شمسٌ منازلها صدورُ ذوي النهى * الراسخي الاقدام في العرفان
تعشي أشعتها عيونَ أخابش * تقفو ضياء كواكب الاذهان
قد ضلَّ مَن مِن غيرها طلب الهدى * بصلاحه الروحيّ والجسماني
ظنَّ السرابَ شرابَ ريّ نافعٍ * ورأى الحبا حبَ جذوةَ النيران
إن التي جمعت كمالَ مصالحِ الد ارين ويكَ شريعةُ العدناني
ما شذَّ عنها حكمُ حال يعتري * جيلاً ولا حيناً من الاحيان
إما جليا طبق نازلةٍ عرت * أو باطناً لملمةٍ لم تان
فكانّ كلَّ شريعةٍ مِن قبلها * في ظلها صنوٌ من الصنوان
يشبهن حال فروعها من بعدُ في * تبعٍ لعادات وحكم زمان
فالنسخُ في هاتيك كالعمل الذي * فيها مع الحالات ذو دوران
كم غادر العلماء من متردَّمٍ * بمغاصها وجنى قصيّ مجاني
وهم الالى خاضوا بها واستخرجوا * منها الكمين بمبلغ الامكان
أوروا بِزَند الاجتهاد لكشفها * ناراً وشبوها على كثبان
حتى استبان لخابطٍ نبراسها * ودنت به للقابسين اماني
فبأيّ ماوجهٍ تنوّره امرؤٌ * أجلى له عن سيمياء بيان
ولربما اشتبهت وجوهُ حوادثٍ * قد ضاءها لكن بطيّ صوان
فغدت مَرايا الرأي تعكسهُ لها * بمسالك التعليل ذي السريان
وتنوعت مستنبطات مقابس الا راء والوّنت بلون أواني
وتخالف الفقهاء في أنظارهم * فتفاوتت في شدة وليان
وقضت مذاهبهم على القاضي بها * أن يهتدي لمواجب الرجحان

والكل مجتهد فمخطئهم له * أجر كما لمصيبهم أجران
« لكن إذا غلب اتباع للهوى * صار الخلاف ذريعة العدوان »
وتطرقت تهم لمن يقضي فلم * تقبل قضاه النفس باطمئنان
وتورط المرتاب في شبهاته * وتدرع المحتال بالبهتان
وتبدلت سعة الخلاف مضايقاً * هي للخدوع توافق الروغان
واستهدف الدين الحنيف بظنة * في غربة لمطاعن المطعان
وزماننا هذا كما تدرونه * ظهر الفساد له بلا كتمان
فالارض من أطرافها منقوصة * والدين منبوذ ورا الظهران
ووراء ذلك ما يروع ذوي النهى * أن نام راعي السرح عن سرحان
كادت منى الاسلام تكذب أهلها * لو لم تمد بصادق السلطان
الصادق العزمات سيف الله ذي الـ * حدين رأي ثاقب وبيان
ملك له كرم أبى ايثاره * لنعيم ملك عن هنا الاوطان
وعزائم تدع البوارق ضلعاً * وفراسة قامت مقام عيان
ومآثر عفت على أثر الالى * وخصال فضل حزن خصل رهان
شام الهنا بيض الانوق بحالق * فسماله بقوادم العقبان
وغدا يراعيه بعين عناية * لا تستجيز تصافح الاجفان
ويسامر التفكير في تدبيره * مستسهلاً لمصاعب الاحزان
حتى أبان له المهيمن مسلكاً * لا تستقل به قوى الانسان
أعيى على كل الملوك سلوكه * فاجتازه فرداً بلا أقران
وغدا يمهده بيمن كافل * بالامن بين نواهش الثعبان
حتى تناهى الفة وترتبا * فدعاه حينئذ « بعهد أمان »
هو ذلك القانون والعهد الذي * أوتيتم من قبل بالايمان
أمضاه سيدنا وكان لحكمه * هو أول الراضين بالاذعان

جعل الورى فيه سواسيةً فلم ✱ يترك لنشاءٍ عنه بنت لسان
وقضاه « دستوراً » يسيراً عليه ✱ سهلاً على قاصيهم والداني
لم يعد فيه فقه مذهب مالكٍ ✱ إلاَّ لفقه إمامه النعمان
لكنه انتخب الذي هو لائق ✱ بزمانه ومكانه والشان
حكم به رفع الخلاف وشاد بنـ ـيان الوفاق به على اركان
هو سنة نفذت نفاذ أسنةٍ ✱ بيضا كأبيض في المضاء يماني
جلت الحدود صوارماً لا تنثني ✱ بتأول النصحاء والخوان
« حذراً من الجريان في تعطيلها ✱ مجرى البغاة بسالف الازمان »
من صفحهم عن ذي المكانة فيهم ✱ والبطشِ بالمستضعف الاركان
والحدُّ عن نهك المحارم حاجز ✱ في خرقه تسهيله للجاني
ولذاك لا تجد المتينَ ديانة ✱ في رعيه إلاَّ جريٌّ جنان
وانظر لشدة مالك وخلافه ✱ فتوى أئمة عصره الاعيان
في درئهم عن قاتل لاخيه عن ✱ عمد قصاصاً إذ عفا الابوان
إذ لا وليَّ سواهما فسقوطه ✱ لم يختلف إذ ذاك فيه إثنان
وأبى الامام سوى إقادته به ✱ أو ليس يفتي بعدها في شان
هذا وعفو البعض يسقط عنده ✱ حقَّ المخالف في ذوي السلطان
لكنه امضى القصاص صيانةً ✱ للحد عن متطرق البطلان
ورعى بسدّ للذرائع منعةً ✱ لحمى الشرائع عن ذوي استهوان
وقرائن الاحوال تحرج في القضا ✱ ما توسع الفتوى بدون عيان
« لله قانون أقام سياسةً ✱ شرعية مرصوصة البنيان »
دانت له أمم تدين بغيره ✱ إنَّ الاصابة والوفاق يدان
قد عمَّ أنواع الجنايات التي ✱ هي مرجع الايلاف والشنئآن
أبقى الورى أمناً على سكناتهم ✱ لاجور يزعجهم عن الاوكان

فلو انّ عينا تختشي من نومها * جوراً أجار لها على الاوسان
منع التظالم في المكاسب بينهم * وتسخرَ الادنى لذي السلطان
وصيانة الاموال أصل موجب * منع الربا في سائر الاديان
كصيانة الاعراض عما شان والا لباب والانساب والابدان
والامن في تلك الاصول جميعها * هو منشأ الاثراء والعمران
يا ايها الملك الذي هو في العلا * فذ وما يتلوه من ثنيان
أشهدتنا مصداق قول نبينا * هي أمتي كالوابل الهتان
لم يدر هل في أول أم آخرٍ * مختاره فتشابه الطرفان
خلنا الزمان لنا استدار فنحن في * خير القرون بحكم خير قران
عدنا إلى عصر الخلافة بعد ما * عصرٍ عضوضٍ عضة السودان
لم لا وذا الزمن الذي من يحتفظ * فيه بعشر الدين ذو الاحسان
مهدت للمهديّ ما هو جاعل * ذا الشك فيه مناهز الايقان
ان كان في طيّ الكتاب لديننا * نصر فذا القانون كالعنوان
سبحان من أحيى بمسعاك الهدى * واعاد روح العدل للجثمان
فكأننا بالدين عاود سرحه * شرخ الشباب الوارق الفينان
وكأننا بمنازه الخضراء قد * أقست مغاني الشعب من بوان
وكأننا بقصورها قد شيدت * وقصيرها كخور نق النعمان
وكأنها بحضارة ونضارة * ورفوه سكان رياض جنان
معمورة بجوامعٍ وصنائعٍ * ومزارع وبضائع الوان
في ظلّ عيش لا يطار غرابه * وجنا نعيم ليس يبرح داني
فاهنا بذا الوضع السعيد ودم به * أبداً حليف بشائر وتهاني
واسمع تواريخاً لعام بدوه * مسرودة كسلاسل العقيان
ساوت ليالي البدر عند كماله * أنصاف أبيات على ميزان

تهدي الى التاريخ لفظا مثل ما * تهدي اليه من صريح معاني

باليوم من شهر وأسبوع وبال ساعات ضبط مواسم الجذلان

في سادس من بعد أسبوع ولي * لجماد الاولى رسمت عهد أمان

٩٠ ٦٠٥ ٩٠ ٧٦ ٣٧٩ ٤٦ — ٧٨ ٧٨ ٩٤٠ ٧٩ ٩٢

سنة ١٢٧٧ — سنة ١٢٧٧

قبل الزوال بيوم الاثنين فرض * في موكب حاو زهي الشان

١٣٢ ٧٥ ٥٨ ٦٤٢ ٣٧٠ — ٩٠ ٦٨ ١٥ ٢٢ ١٠٨٢

سنة ١٢٧٧ — سنة ١٢٧٧

من عام سبع بعد سبعين قضو ه قبل ألف سيق فالمائتان

٩٠ ١١١ ٣٧٢ ٧٦ ٤٣٢ ١٩٦ — ٥ ١٣٢ ١١١ ٤١٠ ٦١٣

سنة ١٢٧٧ — سنة ١٢٧٧

قانون عدل صادق عال سمت * ءاساسه رجبا على ءاشان

٢٠٧ ١٠٤ ١٦٥ ١٠١ ٧٤٠ — ٦٠٨ ٢٠٦ ١١٠ ٣٥٣

سنة ١٢٧٧ — سنة ١٢٧٧

هو صادق العزمات قرر مجده * صدقا بذا القانون عهد امان

١١ ١٦٥ ٥٤٩ ٥٠٠ ٥٢ — ١٦٥ ٧٠٣ ٢٣٨ ١٧٩ ٩٢

سنة ١٢٧٧ — سنة ١٢٧٧

لا زال في ملك يشد بجده * وأسوسه تبنى على كيوان

٣١ ٣٨ ٩٠ ٩٠ ١٠١٤ ١٤ — ٦١٨ ٤٦٢ ١١٠ ٨٧

سنة ١٢٧٧ — سنة ١٢٧٧

حتى يرى العدل المشيد بنصبه * يحيى لتونس زينة العمران

٤١٨ ٢١٨ ١٣٥ ٤٨٥ ١١٩ — ٢٥ ٧٨٦ ٤٦٧ ٣٩٢

سنة ١٢٧٧ — سنة ١٢٧٧

هذي تواريخ القوانين التي ☆ أصلتها لحماية الاوطان
وسبقت أملاكا ذوي خطر بها ☆ لم يشأنوا منها لذاك الشان
وانبت خير الدين في تقريرها ☆ بفصاحة تزري على سحبان
ما زال يمليها بفصل خطابه ☆ حتى وعتها سائر الاذهان
كلم يفوت بيانها سبقا الى الا ذهان مسراها إلى الآذان
ومقالة فصل كان فصولها ☆ شذر الفواصل في عقود جمان
ياايها المتشرفون بفهمها ☆ ارعوا هنا الارواع باطمئنان
مدوا الاكف الى المهيمن واجأروا ☆ ببقاء دولة صادق السلطان
قولوا وانتم في سوابغ انعم ☆ شكرا لك اللهم من منان
بواننا الخضراء خير مبواء ☆ صدق له كرم على البلدان
وجعلتها حرما بفضلك ءامنا ☆ وحيا لها متخطف الحدثان
اشهدتنا من فضلك اللهم ما ☆ لا يستقلّ بشكره الثقلان
حمداً لك اللهم ما كنا لذا ☆ اهلا نبوء إليك بالاحسان
ابق الامام الصادق الاسمى لنا ☆ كهفا منيعا راسخ الاركان
واشدد دعائم ملكه وارفع به ☆ فينا منار العلم والايمان
وامدده بالنصر العزيز وحفه ☆ برعاية وعناية وعوان
واجعل مسامع كل قطر شاسع ☆ مقروعة بثنائه المعلان
وثغوره معطارة من ذكره ☆ بسامة عن صيته المرنان
وكما حفظت من الهوى احكامه ☆ فاحفظه من سوء وريب زمان
واجعل ملوك المسلمين بكل ما ☆ قد سنه فينا ذوي استسنان
حتىّ يعم به الصلاح ويحتوي ☆ ميزانه اجرا بلا ميزان
واجعله في الخضراء شمس هداية ☆ وولاته فيها نجوم بيان
وانظم كمنتظم الثريا حزبه ☆ واحصد عداه بمنجل الدبران

واعضده بالشهم الوزير المصطفى ✲ درع الصدور ودرة التيجان
وادم لديه برايه وبوجهه ✲ سعدين شمس هدى وبدر زيان
ولك المحامد اذ جمعت بيمنه ✲ كلماتنا والناس في فرقان
هذا وانتم قد تقبل شكركم ✲ وانبتم خلعا من الرضوان
فلترجعوا لرحالكم بسلامة ✲ مستوثقين بحبل عهد امان
« ولتحفظوه فانكم في حفظه ✲ مستأمنون باوثق استئمان »
« هذي رياستكم وعزة مجدكم ✲ نيطت بكم يا معشر الاعيان »
« والى امانتكم وحسن وفائكم ✲ وكلت وغيرتكم على الاوطان »
ولتعلموا انّ الوفيّ لنفسه ✲ يوفي ومن ينكث عليها جاني
والله ليس مغيرا انعامه ✲ حتى يغيره ذوو الكفران
« وتيقنوا انّ الذي غلب الهوى ✲ والنفس يغلب كل ذي سلطان »
هذا وان الصادقية دولة ✲ خصت بتاييد من الرحمان
لما رات مصباح شرع محمد ✲ بتلاعب الاهواء ذا خفقان
« جعلت له القانون شبه زجاجة ✲ لتقيه هب عواصف الطغيان »
« فتدارسوه لما علمتم بينكم ✲ عودا على بدء بغير توان »
والله يسعدنا ويسعد جمعكم ✲ بالعون والتوفيق والغفران



خريطة اوربا الحالية (١)

وما استجد فيها من الدول بعد الحرب

يجدر بنا الان وقد غيرت المعاهدات وجه اروبا ان نلقي نظرة اجمالية على تلك القارة لنتبين شكلها الجديد وما يختلف به عن شكلها القديم من دول استجدت ودول اتسعت ودول بترت او قسمت الى غير ذلك من التغييرات الناجمة عن الحرب العالمية . على انه لابد لنا من الاشارة الى انه لا تزال الى هذا اليوم مسائل معلقة لم يبت في امرها ولكنها قليلة الاهمية لا توثر كثيرا في شكل اوربا الجديد

في الغرب

ففي الجهة الغربية من اوربا كان اهم تغيير ضم الالزاس واللورين الى فرنسا . وتبلغ مساحتهما نحو ٥٦٠٠ ميل مربع وسكانهما ١٨٠٠٠٠٠ نفس. ولهما شان كبير من الجهة الاقتصادية ففيهما مناجم فحم وحديد وبوطاس فضلا عن الاراضي الزراعية في وادي نهر الرين الشهير . ويقدر عدد الالمان من اهلهما بنحو ٣٠٠٠٠٠ نفس حاز ١٢٠٠٠٠ منهم الجنسية الفرنسية . ولا تزال اللغة الالمانية منتشرة بين الاهلين فان اكثر من ثمانين في المائة منهم يتكلمونها . ومما يزيد قيمة تينك المقاطعتين ان نهر الرين يمر بها وهو من اهم طرق المواصلات الى اوربا الوسطى .

ونصت معاهدة فرسايل على انتزاع وادي السار من المانيا (وهو يقع قرب دوقية لكسمبرغ ومساحته ٧٠٠ ميل مربع) ووضعه تحت حكم لجنة من الحلفاء الى يناير سنة ١٩٣٥ اذ يخير الاهالي بالتصويت العام بين الجنسيتين الالمانية والفرنسية . على ان مناجم الفحم فيه تظل ملكا لفرنسا

وقد ربحت بلجيكا ثلاث مقاطعات صغيرة وهي مقاطعات مور سنت واوبن وملميدي التي كانت تابعة لبروسيا . فان معاهدة فرسايل نصت على تخيير اهالي

(١) عن هلال يناير ١٩٢١

تلك المقاطعات في الجنسية التي يؤثرونها بتصويت عام في خلال ستة اشهر ابتداء من ١٠ يناير سنة ١٩٢٠ وقد تم هذا التصويت فكانت رغبة الاهالي الانضمام الى بلجيكا

ومع ان الدانمرك لم تدخل الحرب الاخيرة فقد جنت ربحا غير يسير فلا يخفى ان المانيا كانت قد انتزعت من الدانمرك في سنة ١٨٦٤ مقاطعة سلز ويج فقد نصت المعاهدة على تخيير اهالي تلك المقاطعة في مصيرهم وقسمت لاجل التصويت الى ثلاثة اقسام اختار القسم الاول وهو الاقرب الى الدانمرك الرجوع اليها . واختار القسم الثاني البقاء تحت الحكم الالماني . ولم توخذ الاصوات في القسم الثالث لانه لم يحتمل اختياره غير الجنسية الالمانية وقد امضيت معاهدة بين الحلفاء والمانيا والدانمرك بتاريخ ٥ يوليو سنة ١٩١٩ تعين الحدود الفاصلة بين المانيا والدانمرك

اروبا الوسطى

ان اعظم تغيير طرأ على خريطة اروبا هو زوال الامبراطورية النمسوية المجرية وقيام ثلاث جمهوريات مكانها . وهي : تشيكو سلوفاكيا والنمسا وهنقاريا (وقد انضمت اجزاء اخرى من الامبراطورية الزائلة الى دول مجاورة مما سيأتي ذكره بعد) وفيما يلي كلمة وجيزة عن كل تلك الجمهوريات الثلاث

(تشيكوسلوفاكيا) هي خليفة مملكة بوهيميا القديمة التي كان لها شأن كبير في التاريخ مساحتها ٦٠٠٠٠ ميل مربع وسكانها ١١٠٠٠٠٠٠ نفس وعاصمتها مدينة براغ وقد اعلنت الجمهورية في تلك البلاد منذ ١٨ اكتوبر سنة ١٩١٨ وانتخب الدكتور مساريك رئيسا اولا لها ولا يزال في منصبه . وهي من اهم المراكز الصناعية في اروبا (ولا سيما في الفحم والحديد وسكر البنجر ووسائل النقل) وخمسون في المئة من مساحتها ارض زراعية . وليس لهذه الجمهورية ميناء بحري

(النمسا) لقد قضت الحرب على الامبراطورية النمسوية المجرية فتقلص

ظلها ولم يبق للنمسويين من ذلك الملك الواسع إلاّ الجهات التي يقطنها الشعب النمسوي الصرف . مساحتها الان ٣٠٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها نحو ٦٠٠٠٠٠٠ نفس وعاصمتها فينا . وقد فقدت النمسا بمقتظى المعاهدة النمسوية مقاطعة ترنتينو المنضمة الى ايطاليا ولكن اضيفت اليها قطعة صغيرة كانت تابعة لهنغاريا . وقد اعلن استقلال النمسا في ١٢ نوفمبر ١٩١٨ ، وفي فبراير سنة ١٩١٩ انتخب مجلس وطني للنظر في احوال الامة ولم يبق للنمسا الان إلاّ قليل من الاراضي الزراعية ولكن فيها مناجم رصاص وزنك وغرانيت وملح . ومن اشهر مصنوعاتها الزجاج وسكر البنجر

(هنغاريا) تبلغ مساحة الجمهورية الهنقارية او المجرية اليوم ٤٥٠٠٠ ميل مربع وسكانها نحو ٨٫٠٠٠٫٠٠٠ وعاصمتها بودابست . وقد خسرت هنغاريا بمقتضى المعاهدة الهنغارية اراضي متسعة ضمت الى تشيكو سلوفاكيا من جهة الشمال والى رومانيا من جهة الشرق والى بوغو سلافيا من جهة الجنوب . ويقدر ما خسرته من ارضها الزراعية بنحو ٦٠ في المئة . وقد اعلنت في هنغاريا جمهورية اشتراكية في ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٨ ثم قامت فيها حكومة بلشفيكية لم تدم طويلاً ثم تالفت جمعية وطنية في يناير سنة ١٩٢٠ وانتخب الاميرال هورثي وصيا على الجمهورية

بولونيا

لعل اكبر مملكة خلقتها او بالحري بعثتها الحرب هي بولونيا فان مساحتها تبلغ ١٢٠٫٠٠٠ ميل مربع وسكانها ٢١٠٠٠٠٠٠ وهي مؤلفة من ثلاثة اشطار شطر الماني وشطر روسي وشطر نمسوي . ولا يزال الحد الشرقي من جهة روسيا وليتوانيا عرضة للتغيير . وقد قام جدال طويل بين بولونيا وتشيكو سلوفاكيا على حق امتلاك مقاطعة تشن الغنية بمناجمها الفحمية واخيرا عين الحدود مجلس السفراء في باريس بعد تفاهم الحكومتين صاحبتي الشان . وقد جعلت مدينة دنتزيغ وهي منفذ بولونيا الطبيعي الى البحر ميناء حرا تحت حماية جمعية الامم وقد ضمنت المعاهدة لبولونيا

حق استخدام هذا الميناء . ويفكر البولونيون في بناء ميناء جديد خاص بهم ولبولونيا ثروة طبيعية كبيرة ففيها الغلال والزيتون والاخشاب والملح ويقدر الفلاحون فيها بنحو نصف مجموع الاهلين

البلطيق

لقد انشئت على شواطيء البحر البلطيقي اربع جمهوريات مستقلة كانت تابعة لروسيا ولكن سكانها غير روسيين وهي ابتداء من الجنوب الى الشمال :

(١) ليتوانيا مساحتها ٤٥٠٠٠ ميل مربع وسكانها ١٩٠٠٠٠٠ وعاصمتها مدينة كوفنو

(٢) لاتفيا مساحتها ٤٠٠٠٠ ميل مربع وسكانها ١٠٠٠٠٠٠ (عاصمتها ريغة)

(٣) استونيا مساحتها ٢٥٠٠٠ ميل مربع (عاصمتها ريفال)

(٤) فنلندا مساحتها ١٢٥٠٠٠ ميل مربع وسكانها ٣٣٠٠٠٠٠

وقد تمكنت هذه الجمهوريات الاربع من مقاومة البلشفيكية من الداخل ومن الخارج واعترفت بها حكومة السوفيت الروسية . وهي بلاد غنية بغاباتها وتصدر الخشب والمنسوجات والجلود

روسيا

قل ما يستطاع ذكره الان عن روسيا فلا تزال اخبارها قليلة غير موثوق بصحتها وقد قامت بعض المقاطعات الروسية واعلنت استقلالها ولكن مصيرها عرضة للطواريء

البلقان

لقد حدثت تغييرات جسيمة في شبه جزيرة البلقان بمقتضى المعاهدات الهنغارية والبلغارية والتركية ولعل اهم ما حصل من ذلك تكبير مملكة سربيا وقد تغير اسمها الان فاصبح (يوغوسلافيا) اي بلاد سلاف الجنوب وهم السربيون والكرواتيون والسلوفينيون والعاصمة بلغراد ويبلغ مساحة يوغوسلافيا الان

٧٥٠٠٠ ميل مربع وسكانها ١٠٠٠٠٠٠٠ وهم موزعون في ٧ مناطق : سربيا وكرواتيا وسلافونيا وسلوفينيا والبوسنة والهرسك والجبل الاسود . وقد تدرجت هذه الاقوام في سبيل الاتحاد والاندغام فكانت الخطوة الاولى اتفاق كورفو في يوليو سنة ١٩١٧ وتبعته معاهدة رومية في ابريل سنة ١٩١٨ ثم اعلان الاتحاد في ديسمبر سنة ١٩١٨ . وقد عقدت يوغوسلافيا اخيرا معاهدة مع ايطاليا لتعيين الحدود بينهما ولكن المسئلة لا تزال محفوفة بالمشاكل بسبب سلوك الشاعر دنونزيو في ميناء فيوم ونحو ثمانين في المئة من اهل يوغو سلافيا من الفلاحين اصحاب الاملاك الصغيرة

وفي سنة ١٩١٩ منحت ايطاليا انتدابًا على (البانيا) ولكن الالبانيين يطالبون بالاستقلال وقد انشأوا حكومة وطنية في مدينة تيرانا

اما (بلغاريا) فقد سلخ جانب من املاكها . فبعضه اعطى ليوغو سلافيا والبعض الاخر لليونان

وقد تضاعفت مساحة (رومانيا) الان فاصبحت ١٠٠٠٠٠ ميل مربع وسكانها ١٣٠٠٠٠٠٠ نفس فقد ضمت اليها ترنسلفانيا وبوكوفينا وبسارابيا وبانات وقد حمت المعاهدة الاقليات القاطنة تلك الاراضي كالمجر والزكلر والسكسون واليهود والروثينيين وفي رومانيا موارد عظيمة من الغلة والزيت والخشب

اما (اليونان) فقد كبرت واتسعت بحيازتها شاطي بحر ايجه من بلغاريا وتراقية من تركيا وجزر الدو ديقانيز التي كانت تحتلها ايتاليا (ماعدا رودس)

ولم يبق من (تركيا) في اوربا الا الاستانة وضواحيها وقد وضع الدردنيل وبحر مرمرة والبوسفور تحت سيطرة جمعية الامم



هذا اهم ماتم من التغير في خريطة اوربا . بقي ان نرى الى كم من السنين يثبت هذا التغيير وهو ماستنبئنا به الايام

الاكسيد الفحمي المعروف « بالزنزانة »

طرق التوقي من اخطاره واساليب علاجه

لا يخفى على احد كثرة الحوادث الناشئة عن الاكسيد الفحمي وفي كل شتاء تقع وافيات بسببه تستلفت الانظار الى هذا الغاز الخطير وان تلك الوافيات التي تقع عن تغفل يمكن ازالتها بتحذر بسيط مثل تجديد الهواء ومراقبة اشتعال الفحم ، وان الحوادث التي تصيب الافراد لا تذكر امام الحوادث التي يمكن وقوعها بالمعامل الكبيرة المعدة لتذويب المعادن ومن شانها تكوين كمية عظيمة من الاكسيد الفحمي فان فرن تذويب تلك المعامل يكون من اربعة الى ستة الآف ميتر مكعب من الغاز عند حرق طرناطة واحدة فحما ومن ذلك تعتبر كمية الغاز المتكونة من فرن واحد يذوب يوميا ثلاث اوخمس طرناطات حديدا وفي ذلك الغاز المتكون يوجد على الاقل (٢٠) او (٣٠) في المائة اكسيد فحمي ولما كان هذا الغاز عديم اللون والرائحة ولا يمكن الاطلاع على وجوده إلا اذا ابتدأ في تاثيره السيء فيدرك الخطر العظيم المحدق بالعملة الذين يشتغلون بازاء فرن التذويب ورغما عن الاحتياطات فحوادث هذا الغاز كثيرة . وعليه فغرضنا بث اسلوب انكليزي يستعمل لمعالجة حوادث هذا الغاز الذي يتعلق بالكويرات الحمر الدموية ويعوقها عن نقل الاكسيجين الى خلايا الجسد فيمكن في الغالب بتشميم المصاب الاكسيجين ترجيع الكويرات الى خاصياتها الطبيعية واحسن وسيلة لذلك جعل قناع مرشح يكون الاكسيجين المضغوط بالاسطوانه بمكان مقفل يوضع فيه المصاب ولكن على شرط ان يقدر المصاب على التنفس فان لم يقدر يلزم استعمال التنفس الصناعي لاحداث حركاته وهذا التنفس لا يستعمل فقط عند الاصابة بسم الغاز بل يستعمل عند اي مصيبة تحدث اضطرابات في حركات التنفس والتوصل لذلك يقع بواسطة اسلوب « لبرد » اي اسلوب جذب اللسان وترجيعه بانتظام ولكن هذا الاسلوب لا يستعمل وحده اذا كان التنفس

منقطعا تماما وعليه يلزم استعماله مع اساليب اخرى تحدث حركة التنفس ومن جملة الاساليب المستعملة اسلوب « شفار » الذي يقتضي مد المريض على الارض منكبا على بطنه مادا الذراعين الى الامام ملتفتا الى الجنب فيقعد المعالج على ركبتيه بحيث يكون فخذا المصاب بين رجليه ويمكن له الجلوس على فارتيه ثم يمد المعالج يديه ويضع كفيه على ظهر المخنوق جوار آخر الضلوع ويكون الابهامان متصلين فيضغط اذ ذاك تدريجيا من دون تسرع بنقله على صدر المريض الى ان يقع الزفير فيوقف حينئذ الضغط ويبقي كفيه في مكانهما ويجلس على فارتي المريض فيقع الاستنشاق بواسطة مرونة الاضلاع واعضاء البطن ثم يجدد الضغط وهلمّ جرا على حساب ثلاث ثوان ضغطا كل خمس ثوان و هذا الاسلوب ينبغي بثه لمنفعته حيث لا يستدعي نزع الثياب وفتح الفم وجذب اللسان فيمكن تطبيقه حالا ولا يخفى ما في المبادرة بالمعالجة من الاهمية في مثل هذه الحوادث ويمكن لنفر واحد تطبيقه حيث ان اللسان في هذا الاسلوب يسقط ولا يسد منافذ التنفس وان العملية لا تستدعي جهدا عظيما ويمكن تكرارها بدون تعب وان وقع الخنق بالغرق فوضع المصاب على بطنه يسهل اخراج الماء بعكس وضعه على ظهره فانه يصير الماء رغوة وربما يسد ذلك قصيبات الرئة فتصبح المعالجة بلا فائدة



الحركة التجارية

بمرسى صفاقس

بعث مكاتب الدبيش تونزيان بصفاقس لجريدته كتابا تحت العنوان اعلاه نشر في عددها الصادر في اوائل ديسانبر المنصرم قال فيه :

ان مرسى صفاقس التي اخذت حركتها تزداد بصورة محسوسة في اوائل السنة الماضية قد دخلها في الاسبوع المنحصر بين ٢٠ و ٢٧ نوفنبر الماضي عدد من البواخر والمراكب يفوق بكثير ما كان يؤمها في احسن الفصول التي قبل الحرب ففي سبعة ايام دخل مينانا ١٤ باخرة و ٣٦ مركبا شراعيا زيادة عن مراكب القنص على اختلاف انواعها وعدة قوارب للغواصين قدمت من طرابلس الغرب الخ ويحسن ان نذكر من بين تلك البواخر « القرنول» «والقرس» «والكاقولين» الخ الخاصة بشركة الملاحة الفرنساوية و«مدينة جربة» التابعة لشركة اوليفي وقد انزلت هذه البواخر على مراسي ثغرنا عدة آلاف طن من البضائع المختلفة كالحبوب والبقول الجافة والالآت المعدة لعصر الزيتون وكميات من الآجر والسيمان والجلود والسكر والشحم المعدني وصابون مرسيليا ونقلت كمية عظيمة من الحلفاء والزعف والعظام الجافة والتمر ويمكن ان يقدر عدد العملة الذين كانوا ينقلون البضائع على مراسي المينا عشية يوم السبت بثلاثمائة رجل زيادة على نحو ٣٠٠ ذات من البحرية الذين كانوا يساعدونهم على ذلك فوق متون البواخر وهذا يكفي ليتصور القاري قوة الحركة التي احدثها هذا الجيش الصغير بتلك الناحية من مدينتنا على ان ميناء صفاقس يؤمه عدد كبير من قوارب القنص على اختلاف انواعها فقد سجل بدفاتر ادارة المرسى ٧٥ قاربا معدة لصيد النشاف وبيعه على حالته التي يوجد عليها ويعبر عنه «بالصيد الاكحل» كلها ايطالية و ٣٣٩ قاربا معدة للصيد الابيض اعني ان النشاف الذي تغنمه تلك القوارب يغسل وينظف بها ويباع جافا نقيا وقد سجل بدفاتر الادارة المذكورة ايضا ١١٥ قاربا لاهالي قرقنة تشتغل «بالصيد الاكحل»

ونحن لم ندرج بهذه الاحصائية البواخر التي تزور مرسى صفاقس

بانتظام لوسق الفوسفات سواء لفائدة شركة قفصة او لفائدة شركة الفوسفات التونسية ولا شك ان ما نشاهده اليوم من شدة الحركة بميناء صفاقس والعمل المنتظم المستمر بها يدلان على حياة اقتصادية حقيقة لان هذه الحركة ليست وقتية بل انها حصلت شيئا فشيئا وقد وقع تتبعها اسبوعيا بدفاتر ادارة المرسى وهذا ما يفيد ان ما نراه الان انما هو نمو اعتيادي معقول في التجارة البحرية ومناسب لحاجيات ناحية دخلت في طور التنظيم والرقي ومتى عدلت الحكومة عن قاعدة التقتير والتضييق الممقوتة التي سلكتها لحد الان يكتسب ميناء صفاقس اهمية تضطر الادارة لتوسيعه مهما كان الحال

نعم انه من المستحيل ان نفكر فيما قرروه في هذا الباب قبيل الحرب. اعني حفر جوابي متسعة جديدة - ما دامت اسعار المواد مرتفعة ولكنه ينبغي ان نفكر من الآن في ايجاد وسائل تسمح لعدد وافر من البواخر بوضع حمولتها الامر الذي لا يمكن اليوم نظرا لوضعية ارصفتنا وهذا ما يدعو الى تغييرها وتمديد المعد منها لوسق السلع ثلاثة اضعافها الآن وذلك بزيادة مرافيء قارة او عوامة وهذا العمل وان لم يكلف الادارة إلا نفقات زهيدة فانه يسمح بشحن ضعفي ما يمكن شحنه اليوم من البواخر

ولا شك انه يلزم نحت جانب من (جزيرة مادغسكر) حتى تجد المراكب مكانا كافيا لحركاتها ولكن بناء تلك الاسكلة ونحت قطعة من الجزيرة المذكورة يستدعي نفقات طفيفة بالنسبة لما يلزم لحفر مرسى جديدة وتشييد الارصفة اللازمة لها

ولما كنا نشاهد كثيرا من البواخر والمراكب الشراعية راسية قرب جزيرة مادغسكر في انتظار ما كان فارغا بالرصيف وكان ذلك مضرا بالتجارة لان وقت الباخرة ثمين وكل يوم يمضي يكلفها نفقة ذات بال يتحتم اجراء التغييرات التي اشرنا اليها حتى تصبح وسائل شحن السلع بالبواخر وانزالها منها كافية لحاجيات تجارتنا البحرية التي اخذت تنمو يوما فيوما

حوادث الشهر

اجتمع مجلس مندوبي حكومات المتحزبين بباريس اواخر شهر جانفي المنصرم للنظر في مسائل نزع السلاح من القوات الالمانية الزائدة عن العدد الذي قرره اتفاق فرساي . والتعويضات المالية التي التزمت بها حكومة برلين مقابل التخريبات التي تسببت فيها جيوشها ببلاد المتحزبين . والتامل في الحالة الشرقية فاستقر راي الاغلبية على ارجاء النظر في المسألة الاخيرة الى اجتماع آخر سينعقد بلندرة في اوائل مارس المقبل او قبله وانصرفت همة اعضاء المؤتمر لحل المسألتين الاولتين اذ لم يعد في الامكان تاخير انهائها بصورة باتة فبادر الوزراء لتسوية مسألة نزع السلاح التي لم تكن الخلافات في شانها شديدة بين مندوبي الدول ثم انتقلوا الى مسالة التعويضات وهنا عظم التباين بين نظريتي الحكومتين الفرنسية والانكليزية الى حد خشي معه الكثيرون حدوث فتور بين الدولتين وانفضاض المجلس على غير طائل ازاء هذه القضية المهمة غير ان الكونت سفورزه نائب ايطاليا ومسيو جاسبار وزير خارجية البلجيك تلافيا هذا الخطر بسعيها لدى كل من رئيسي حكومتي فرنسا وانجلتيرا وتمكنا بعد عناء ومحاورات طويلة من التوفيق بينهما بصورة كفلت لفرنسا الحصول على نصيب مهم مما كانت تطلبه مع مراعاة الملحوظات التي ابداها وزراء انجلتيرا وذلك بان اتفق المؤتمر على تقرير الغرامة التي يجب على المانيا دفعها للمتحزبين اقساطاً مدة نيف واربعين سنة ولكن حكومة الريش (الجمهورية الالمانية) لم ترض بهذا القرار بل انها صرحت على لسان وزير خارجيتها انها لا تقبل ابدا ان يكون اتفاق مجلس باريز المشار اليه قاعدة للمفاوضات التي ستدور بين نواب المتحزبين ومندوبيها اثناء اجتماعات مؤتمر لندرة وقد اشهرت الصحافة والجمعيات الجرمانية على اختلاف منازعها حملة شديدة على الاتفاق المذكور معلنة بان لا طاقة لالمانيا ان توفي بما حملوها به من

الاثقال وان الحكومة التي تمضي على شروط كهذه لا تلبث ساعة بمركزها لان عملها هذا يقضي على البلاد الجرمانية بالعبودية لصالح المتحزبين مدى اجيال ودهور نعم ان هناك من يقول ان هذه الجلبة صورية وانها مدبرة من لدن الحكومة التي تحاول باثارتها التاثير على الراي العام الاوروباوي وان المانيا متى تحققت ان المتحزبين مصممون على تنفيذ قرارات مجلس باريس تركن الى الطاعة والتسليم ولكن الكثيرون من كبار السياسيين سواء كانوا فرنسيين او انجليزيين يرون ان الضجة التي قامت بالمانيا اثر اذاعة خبر اتفاقية باريس ليست كما يتوهمه هؤلاء كما يرون ان البلاد الجرمانية وان لم يصبها ما اصاب شمال فرنسا من التخريب. لا تستطيع اداء الغرامات المهولة التي وضعت عليها وان احسن طريقة للوصول الى نتيجة فعلية في هذا الغرض هي طلب الممكن لا محاولة المستحيل ولعل هذه الفكرة هي التي ستسود في اجتماع لندرة.

* * *

قلنا ان مسالة الشرق ارجىء النظر فيها الى اجتماع آخر سينعقد بلندرة في اول اسبوع من شهر مارس او قبله بحضر مندوبي حكومتي الاتراك واليونان وفعلا قد اشعرت خارجيات الدول المتحزبة الاستانة واثينا بالامر كي تعين كلتا الحكومتين مندوبين يمثلونها بهذا المؤتمر وقد استفيد من الاخبار الاخيرة ان الباب العالي اجاب بقبول الاستدعاء وكلف الوكلاء بتحضير المذاكرات التي سيقدمها اثناء هذا الاجتماع كما انه ابرق الى حكومة انقره لاعلامها بالمسالة واقترح عليها انتخاب بعض الرجال السياسيين من طرفها ينضمون للوفد العثماني الذي اخذ في تشكيله ولكن اتضح مما قرأناه في الانباء الواردة من الاناضول ان «مصطفى كمال باشا» سيوفد بعثة خاصة يرأسها وزير خارجية الحكومة الوطنية بكير سامي بك لانفراد حكومة انقره في نظره وفي نظر جمهور العثمانيين بالسلطة القانونية وهذا الامر وان لم يظهر باجلى مظاهره لحد الان إلاّ ان وضوحه

ليس بالمستبعد حيث انه لم يعد لحكومة الاستانة نفوذ خارج منطقة عاصمة السلطنة ولا ندري ماذا يكون موقف الدول المتحزبة تجاه هذا الوفد وباية صفة يقع قبوله بالاجتماع المومى اليه اذ لا يعقل ان يكون لدولة واحدة وفدان احدهما رسمي والاخر شبيه به - وعلى كل حال فان المسألة غريبة في بابها وستظهر لنا الايام الطريقة التي ستحل بها - ومهما كان الامر من الصبغة التي تكتسيها تانك البعثتان فان المؤمل ان المشكلة الشرقية ستحل بكيفية تحفظ كيان واستقلال السلطنة العثمانية لتقرير السلام بالشرق اجمع واراحة العالم من الاخطار التي تتهدده مع الحالة الراهنة

* * *

اما الحركة الهندية التي تكلمنا عليها بالاجمال في اعدادنا الماضية فقد اتسع نطاقها اليوم بصورة مخيفة جدا حتى قالت بعض الجرائد الانجليزية الكبرى انه لم يشاهد بتلك المملكة العظيمة مثلها منذ نحو ٧٠ عاماً كما افادت الاخبار الواردة من هناك ان لهذه الرجة الكبرى سببين اولهما سياسي وهو تضافر الاحزاب الوطنية على طلب الحكم الذاتي وثانيهما اقتصادي وهو تصميم الاهالي على مقاومة المزاحمة التجارية الاجنبية وان دعاة الاستقلال الداخلي وجدوا اعضادا عديدين من التشكيلات الاجتماعية التي تكونت بالهند منذ انعقاد الهدنة وكذا من لدن صغار الفلاحين الذين يريدون امتلاك ما يحيونه من الاراضي وقد سعت الحكومة الانجلزية في اخماد نار هذه الثورة بمنح البلاد بعض ضمانات دستورية تخول العناصر التي تسكنها من مراقبة ادارتها الداخلية وميزانيتها غير ان زعماء الاحزاب الوطنية يرون ان اسلوب الانتخاب للهيئات التي سيناط بعهدتها هذه الوظيفة الخطيرة لا تكفل للامة مشاركة كافية في تدبير مصالحها وهذا ما دعا حكومة لندرة لتعيين اللورد ريدينغ القانوني الشهير نائبا عن الملك بالهند املا منها انه سيتوفق بماله من الفطنة واتساع المعلومات واصالة الراي وثبات العزيمة لتسكين الخواطر هناك دون ان يضعف نفوذ السلطنة على تلك المملكة الشاسعة

Le Gérant Ali ben Mokhtar Kahia